



مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن

تنته ما ورد في الجزء الماضي.

مزاعمهم في الهاتف والناقل والراني

قال الجاحظ: والأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون من الإيمان بالهاتف بل يتعجبون ممن

رد ذلك فمن ذلك حديث الأعشى ابن ماسر بن زرارة الأسدي أنه سمع هاتفاً يقول:

لقد هلك الفياض غيث بني فهر ... وذو البياض واخذ الرفيع وذو القدر

قال فقلت مجيباً له:

ألا أيها الناعي أخا الجود والندى ... من المرء تنعاه لنا من بني فهر

فقال:

نعيت ابن جدعان بن عمرو أخو الندى ... وذا الحب القدموس والمنصب القصر

قالوا ولنقل الجن الأخبار علم الناس وفاة المنوك والأمور المهمة كمن تسامعوا بموت
المصور في اليوم الذي توفي فيه بقرب مكة. وهذا الباب أيضاً كثير.

وكانوا يقولون إذا ألف الجني إنساناً وتعطف عليه وخبره ببعض الأخبار وجد حمد
ورأى خياله، وإذا كان عندهم كذلك قالوا مع فلان رثي من الجن. ومن يقولون ذلك
فيه عمرو بن لحيان ابن قسعة والمأمون الحارثي وعتيبة بن الحارث بن شهاب في ناس
معروفين من ذوي الأقدار من بين فارس رئيس وسيد مطاع.

فأما الكهان فمثل حارثة بن جهيئة وكاهنة باهنة وعتر سمنة ومثل شق وسطيح
وأشباههم.

وأما العراف وهو دون الكاهن فمثل الأبنق الأسدي والأجنح الزهري وعروة بن زيد
الأسدي وعراف اليمامة رباح بن كحنة وهو صاحب المستنير البنعلي وقد قال الشاعر:

فقلت لعراف اليمامة داوئي ... فإنك إن أبرأتني لطيب

وقال جبهاء الأشجعي:

أقام هو صفة في فوادي ... وقد سيرت كل هو حبيب

لن الخيرات كيف منحت ودي ... وما أنا من هواك بذي نصيب

أقول وعرة الأسدي يرفي ... أذاك برقية المنق الكذوب

لعبرك ما التاؤب يا ابن زيد ... بشاف من راق ولا محيب

لسير الناعجات أظن أشفى ... لما بي من طيب بني الذهب

وليس الباب الذي يدعيه هؤلاء من جنس العيافة والزجر والخطوط والنظر في أسرار الكف وفي مواضع قرص الفأر وفي الخيلان في الجسد وفي النظر في الأكتاف والقضاء بالنجوم والعلاج بالفكر.

وقد كان مسليمة يدعي أن معه رثياً في أول زمانه ولذلك قال الشاعر حين وصف مخاريقه وخدعه:

بيضة قارور وراية شادن ... وخلة جني وتوصيل طائر

ألا تراه ذكر خلة الجني.

ما روي من متروهم بالبعثة الحمديّة

روى الإمام الماوردي في أعلام النبوة ما رواه أهل السير من هتوف الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وأنه كان من آيات نبوته الصادرة عن إلهام فمن ذلك ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالساً إذ مرّ به رجل فقيل له: أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين قال: ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب قال نعم يا أمير المؤمنين فقال أنت الذي أتاك ريثك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال: نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رثي من الجن فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي وأعقل إن كنت تعقل أنه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وأنشأ يقول:

عجب لنجن وتطلبها ... وشدها العيس باقتابها

فهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما صدق الجن ككذابها

فأرحل إلى الصفوة من هاشم ... فليس قدماها كأذناها
 فقلت له: دعني فقد أميت ناعماً ولم أرفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثانية أتاني
 فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي وأعقل إن كنت تعقل أنه قد
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته
 وأنشأ يقول:

عجب للجن وتجارها ... وشدها العيس بأكوارها
 قهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن ككذابها
 فأرحل إلى الصفوة من هاشم ... بين روايها وأحجارها

فقلت: دعني فقد أميت ناعماً ولم أرفع بما قال رأساً فلما كانت الليلة الثالثة أتاني
 فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي وأعقل إن كنت تعقل أنه قد
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته
 وأنشأ يقول:

عجب للجن وتنجاسها ... وشدها العيس بأحلاسها
 قهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن كالتنجاسها
 فأرحل إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينك إلى رأسها

قال: فأصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام فوحدت ناقتي وأتيت المدينة فإذا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله قال: هات فأنشأت:

أتاني نجي بين هدو ورقدة ... ولم أكن فيما نجوت بكاذب
 ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أذاك رسول من لؤي بني غالب

فشبرت من ذيل الأسرار ووسط ... بي الذعنب الوجناء بين السباب

فاشهد أن الله لا شيء غيره ... وأنت مأمون على كل غالب

وانك أدنى المرسلين وسيفه ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطياب

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى ... وإن كان فيما جيء شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعته ... سواك بمعن عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقاتلي فرحاً شديداً ووثب إليه عمر

فالتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث فهل يأتينك ريتك اليوم فقال:

مذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن.

يروى إبراهيم بن سلامة بسنده إلى رجل من خثعم قال: كانت خثعم لا تحل حلالاً ولا

تحرم حراماً وكانت تعبد أصناماً (قال) فينا نحن عند صنم ذات لينة نتقاضى إليه في أمر

قد شجر بيننا إذ صاح صائح من جوفه.

يا أيها الركب ذرو الأحكام ... ما أنتم وطائش الأحلام

ومستندو الحكم إلى الأصنام

هذا نبي سيد الأنام ... يصدع بالحق وبالإسلام

اعدل ذي حكم من الأحكام

ويتبع النور على الأظلام ... سيعلم في البند الحرام

قد ظهر الناس من الآثام

قال الخثعمي: ففرغنا منه وخرجت إلى مكة وأسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم

وروى إبراهيم بن سلامة بسنده عن رجل حدث عمر بن الخطاب قال له: خرجت

وأصحاب لي في تجارة لنا نريد الشام فصحبنا رجل من يهود فننا كنا ببعض أودية الشام
هتف هاتف

إياك لا تجعل وخذها موبقة ... فإن شر السير سير الحقيقة
قد لاح نجم فاستوى في مشرقه ... يكشف عن ظلمنا عبوس موبقه
يدعو إلى ظل جنان موبقه

فقال اليهودي: تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا: ما يقول قال: يخبر أن نبيا قد ظهر خلا
فكم بمكة فقدمنا فوجدنا نبي الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ومن بشائر هتوفهم ما حكاها أبو عيسى قال: سمعت قريشا في النيل هاتفا على أبي قيس
(جل) يقول:

إن يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف مخالف
فلما أصبحوا قال أبو سفيان من السعدان سعد بكر وسعد تميم فلما كان في الليلة الثانية
سمعه يقول

أيأ سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا ... ويا سعد سعد الخزرجين العطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا ... على الله في الفردوس نية عارف
فإن ثواب الله لنطالب الهدى ... جنان من الفردوس ذات زخارف
قال الماوردي: ولئن كانت هذه الهتوف أخبار آحاد عمن لا يرى شخصه ولا يحج قوله
فخروجه عن العادة لنير وتأثير في النفس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الأخبار يؤكد
صحتها ويؤيد حجتها (فإن قيل) إن كانت هتوف الجن من دلائل النبوة جاز أن تكون
دليلاً على صحة الكهانة فعنه جوابان (إحدهما) أن دلائل النبوة غيرها وإنما هي من

البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة أخباراً والثاني أن الكهانة عن مغيب والبشارة عن
معين فالعيان معلوم والغائب موهوم اهـ كلام الماوردي.
مزاعهم في أوصافهم ومن قتلوه

يقولون من الجن جنس صورة الواحد منهم على صورة الإنسان واسمه شق وأنه كثيراً ما
يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده فربما أهنگه فزعاً وربما أهنگه قتلاً وضرباً (قالوا)
فمن ذلك حديث عنقصة بن صفوان بن أمية بن حرب الكنايني جد مروان ابن الحكم في
الجاهلية خرج وهو يريد مالاً له بمكة وهو على حمار وعنه أزار ورداء ومعه مفرعة في
ليلة أضحانية حتى انتهى إلى موضع يقال له حائط جرمان فإذا هو بشق له يد ورجل
وعين معد سيف وهو يقول:

عنقم إني مقتول ... وإن لحبي مأكول
اضربهم بالذهنول ... ضرب غلام شمنول

رحب الذراع بهنول
فقال عنقصة:

يا شق ها مالي ولك، ... اعمد عني منصلك

تقتل من لا يقتلك
قال شق:

عنت لك عنت لك، ... كيما أبيح مقتلك

فاصبر لما قد حم لك

(قالوا) ومن الدليل أن هذين البتين من أشعار الجن أن أحداً لا يستطيع أن ينشدهما ثلاث مرات متصلة لا يتنعق فيها وهو يستطيع أن ينشد أثقل شعر في الأرض وأشقّه عشر مرات ولا يتنعق.

(قالوا) وقتلت مرداس بن أبي عامر أبا عباس بن مرداس وقتلت الغريض خنقاً بعد أن غنى بالغناء الذي كانوا هموه عنه وقتلت الجن سعد بن عبادة بن دينم وسمعوا الهاتف يقول:

نحن قتلنا سيد الخبز ... رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين ... فلم نخط فؤاده

من استهوه ومنهم خرافة

(قالوا) استهوا منان بن أبي حارثة ليفتحلوه فمات فيهم واستهوا طالب بن أبي طالب فلم يوجد له أثر إلى يومنا هذا واستهوا عمرو ابن عدي النخعي المذنب الذي يقال فيه شب عمرو عن الطوق ثم ردوه على جذيمة الأبرش بعد سنين واستهوا عمارة بن المغيرة ونفخوا في إحنينه فصار مع الوحش.

ويروون عن عبد الله بن قتادة يرفعه قال: خرافة رجل من عذرة استهوته الشياطين. ورووا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم قال: الروث: قال فما كان شراهم قال البول.

توصيفهم رجل الغول وعين الشيطان

العامة تزعم أن الغول يتصور في أحسن الصورة إلا أنه لا بد أن تكون رجليه رجل حمار، وخبروا عن الخليل بن أحمد أن أعرابياً أنشده:

وحافر العير في ساق خدلجة، ... وجفن عين خلاف الأنس في الطول
وذكروا أن العامة تزعم أن شق عين الشيطان بالطول: قال الجاحظ: وما أظنهم أخذوا
هذين المعين إلا عن الأعراب.

مزاعنهم في أرض وبار وبلاد الحوش
تزعم الأعراب أن الله تعالى عندما أهنك الأمة التي كانت تسمى وبار كنا أهنك طساً
وجديساً وعلاقاً وثموداً وعاداً أن الجن مكنت في منازلهم وحتتها من كل من أرادها
وأما أخصب بلاد الله وأكثرها شجراً وأكثرها حباً وعنباً وأكثرها نخلاً وموزاً فإن دنا
إنسان من تنك البلاد متعبداً أو غالطاً حثوا في وجهه التراب فإن أبي الرجوع خينوه
وربما قتنوه.

(قال الجاحظ) والموضع نفسه باطل فإن قيل لهم دلونا على جهته وأوقفونا على حده
وخلاكم ذم زعنوا أن من أرادته ألقى على قلبه الصرفة حتى كأنهم أصحاب موسى في
التيه وقال الشاعر:

وداع دعا والنيل مرخ سدوله ... رجاء القرى يا مسنم بن همار
دعا جعلاً لا يهتدي لمقينه ... من النوم حتى يهتدي لوبار

فهذا الشاعر الأعراي جعل أرض وبار مثلاً في الضلال، والأعراب يتحدثون عنها كنا
يتحدثون عنا يمدونه بالدو والصان والدهناء ورمل يبرين وما أكثر ما يذكرون أرض
وبار في الشعر على معنى هذا الشاعر (قالوا) فليس اليوم في تنك البلاد إلا الجن والإبل
الحوشية والحوش من الإبل عندهم هي التي قد ضربت فيها فحول إبل الجن فالحوشية من
نسل ابن الجن والعبدية والمهرية والعسجدية والعنانية قد ضربت فيها الحوش وقال رؤبة:

حوت رجال من بلاد الحوش
وقال ابن هرمة:

كأنني على حوشية أو نعامة ... لها نسب في الطير وهو ظنيم
وإنما سموا صاحبة يزيد بن الطثرية حوشية على هذا المعنى، وقال بعض أصحاب التفسير
في قوله تعالى وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً إن جماعة
من العرب كانوا إذ صاروا في تيه من الأرض وتوسطوا بلاد الحوش خافوا عث الجنان
والسعالى والغيلان والشياطين فيقوم أحدهم فيرفع صوته إنا عائدون بسيد هذا الوادي
فلا يؤذيه أحد وتصير لهم بذلك خفارة.

يوجد نقص فقرة مزاعهم في الصرع وفقرة مزاعهم في الطاعون
ما يزعمونه في تمثيلهم وتصويرهم

قال الجاحظ: تزعم العامة أن الله تعالى منك الجن والشياطين والعنار والغيلان أن
يتحولوا في أي صورة شاؤوا إلا الغول فإنها تتحول في جميع صورة المرأة ولباسها إلا
رجليها فلا بد أن يكونا رجني همار.

وإنما قاسوا تصور الجن على تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية ابن خليفة
الكنجي وعنى تصور الملائكة الذين أتوا مريم وإبراهيم ولوطاً وداود في صورة
المؤمنين وعنى ما جاء في الأثر من تصور إبليس في صورة سرافة بن مالك وعنى تصويره
في صورة الشيخ التجدي.

(قالوا) فإذا استقام أن تختلف صورهم وأخلاق أبدانهم وتتفق عقولهم ونياتهم واستطاعتهم جاز أيضاً أن يكون إبليس لعنة الله عليه والشيطان والغول أن يتبدلوا في الصور من غير أن يتبدلوا في العقل والبيان والاستطاعة اهـ.

ونقل الحافظ أحمد بن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته إلا أن يكون نبياً اهـ.

(قال ابن حجر) وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها وأما من ادعى أنه يرى شيئاً منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدر فيه وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور، (قال) واختلف أهل الكلام فقي ذلك فقليل هو تخيل فقط ولا ينتقل أحد عن صورته الأصلية وقيل بل ينتقلون لكن لا باقتدارهم على ذلك بل بضرب من الفعل إذ فعنه انتقل كالسحر (أي الشعبة) (قال) وهذا قد يرجع إلى الأول اهـ وسيأتي تحقيق ثمنهم في أول مباحث الخاتمة.

رأيهم في قرناء الشعراء الفحول

قال الجاحظ: يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطاناً يقول ذلك الفحل على لسانه العشر ويقولون اسم شيطان المخيل عمرو واسم شيطان الأعشى محل وكذلك أيضاً اسم شيطان الفرزدق عمرو وقد ذكر الأعشى مسحلاً حين هجاه جهنم فقال:

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له ... بجهنم يدعى لنهجين المذمم

وذكره الأعشى فقال:

حباني أخي الجني نفسي فداؤه ... بأقبح جياش العشيات مرحم

وقال أعشى سليم:

وما كان جني الفرزدق أسوة ... وما كان فيهم مثل فعل المخبل
وما في الخوافي مثل عمرو وشيخه ... ولا يعد عمرو شاعر مثل مسجل
وقال الفرزدق في مديح أسد بن عبد الله:

لتبغض أبا الأشبال مدحتنا ... من كان بالغور أو طودي خراسانا
كأنها الذهب العقيان حبرها ... لسان اشعر خلق الله شيطانا

وقال:

فلو كنت عندي يوم قرء عذرتني ... بيوم دهنتي جنبه وخبائله
فمن أجل هذا البيت ومن أجل قول آخر:

إذا ما زاع جارية فلاقى ... خيال الله من أنس وجن
دعاني شقنات إلى خنف بكرة ... فقلت اتركني فالغرد أحمد
أي أحمد لي في الشعر من أن يكون لي عليه من معين فقال أعشى سليم يرد عليه:
إذا ألف الجني قرداً مشنفاً ... فقولوا لخزير الجزيرة أبشر
فجزع بشار عند ذلك جزعاً شديداً لأنه كان يعلم مع تغزله أن وجهه وجه قرد وكان
أول ما عرف من جزعه من ذكر القرد الذي رأوا منه حتى أنشد قول حماد عجرد:
ويا أقبح من قرد ... إذا ما عسي القرد
وفي أن مع كل شاعر شيطانا يقال معه قول أبي النجم:

إني وكل شاعر من البشر ... شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وقال آخر:

إني وإن كنت صغير السن ... وكان في العين نبؤ عني

فإن شيطاني كبير الجن

وأما قول عمرو بن كثوم:

وقد هرب كلاب الجن منا ... وشذبنا قتادة من يلينا

فإنهم يزعمون أن كلاب الجن هم الشعراء. ومما دل على أنهم يقولون أن مع كل شاعر

شيطاناً قول شاعرهم:

إذا ما ترعرع فينا الغلا ... م فليس يقال له من هو

إذا لم يسد قبل شد الإزا ... ر فذلك فينا الذي لا هو

ولي صاحب من بني الشيبا ... ن فطوراً أقول وطوراً هو

وشيصان وشنقان رئيسان من آباء القبائل في زعمهم وقد ذكرهما أبو النجم.

خيالهم في جن الشام والهند

قال الجاحظ: وأصحاب الرقي والأخذ والعزائم والسكر والشعبذة يزعمون أن العدد

والقوة في الجن والشياطين لزالة الشام والهند وإن عظيم شياطين الهند يقال له (مكويرك)

وعظيم شياطين الشام يقال له در كاراب وقد ذكرهما أبو إسحاق في هجائه محمد ابن

بشير حينئذ عى هذه الصناعة فقال:

قد لعنري جمعت من أصعياب ... ثم من شعر آدم والخراب

وتفردت بالطوائق والميكل ... والدهنتات من كل باب

وعننت الأسماء كي ما تلاقي ... زحلاً والمريخ فوق السحاب

واستمرت الأرواح بالبحر يأتين لصرح الصحيح بعد المصاب

جامعاً من لطائف الدهسيا ... ت كنوساً نعتها في كتاب
ثم أحكمت متقن الكرويا ... ت وفعل الناريس والنجاب
ثم لم تفتك السعاية والحد ... مة والاحتفاء بالطلاب
بالخواتيم والمناديل والسعي ... بسكريك ودركاراب

توههم ملامح الجن في الأنس

قال الققععا بن زرارة في ابنه عوف ابن الققععا: والله لما أرى في عوف من شمائل الجن
أكثر مما أرى من شمائل الأنس: وقال بجير بن أيوب:

أخو قفرات حالف الجن وانتفى ... من الأنس حتى تقضت وسائله
له نسب الأنسي يعرف نجه ... ولجن منه خلقه وشمائله

وقال الآخر:

وصار خليل الغول يعد عداوة ... صفياً وربته القفار البساس
فليس بجني يعرف نجه ... ولا هو أنس تحتويه الجالس
يظل ولا يبدي لشيء فواره ... ولكنه ينتاع والليل دامس
قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان

أنشد أعرابي:

فما يعجب الجنان منك عدمتهم ... وفي الأمد أفراس لهم ونجائب
أترج يربوعاً وتنجم قنفذاً ... لقد أعوزقم ما عنيت المراكب
فإن كانت الجنان جنت فبالخرى ... ولا ذنب للأقدار والله غالب
وما الناس إلا خادع ومخدع ... وصاحب إسهاب وآخر كاذب

وقال دعنج بن الحكم

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب ... وشيطانه عند الأهنة يصرع

وأنشد عبد الرحمن بن منصور الأسدي:

جنونك مجنون ولست بواجد ... طيباً يداوي من جنون جنون

وأنشد:

أتوني بمجنون يسيل لعابه ... وما صاحبي إلا الصحيح المسلم

وقال ابن ميادة:

فلما أتاني ما تقول محارب ... تغت شياطين وجن جنونها

وحكت لها مما أقول قصائد ... ترامت بها صهب المهاري وجونها

وقال في التشيل:

إن شرخ الشباب والشعر الأسو ... د ما لم يعاض كان جنونا

وقال الآخر:

جادت بها عند الغداة يمينه ... كنتا يدي عمرو والغداة يمين

ما إن يجود بمثلها في مثله ... إلا كريم الحيم أو مجنون

وقال الجحفي:

ولو أنني لم أكل منكم معاينة ... إلا السنان بذات الموت مطعون

أو لا خطبت فإني قد همت به ... بالسيف إن خطيب السيف مجنون

وأنشد:

هم أحوا هي الرقي بضرب ... يؤلف بين أشات المنون

فنكب عنهم درء الأعادي ... وداووا بالجنون من الجنون

ما يحكونه من نيران السعالي والجن

أنشد أبو زيد لسهم بن الحارث:

ونار قد حضأت بعيد هده ... بدار لا أريد بها مقام

سوى تحنيل راحة وعين ... أكالتها مخافة أن تنام

أتوا ناري ففقت منون أنتم ... فقالوا الجن قد عمرو ظلاما

ففقت إلى الطعام فقال منهم ... زعيم نحمد الإنس الطعاما

قال الجاحظ: وهذا غلط وليس من هذا الباب بل الذي يقع ههنا قول أبي المطراب عبيد

بن أيوب:

فلنه در الغول أي رفيقة ... لصاحب قفر خائف متفر

أرنت بنحن بعد لحن وأوقدت ... حوالي نيران تبوخ وتزهر

ففسفة ما ترعند الأعراب من عزيف الجنان وتغول الغيلان

قال الجاحظ رحمه الله: كان أبو إسحق يقول في الذي تذكر الأعراب من عزيف الجنان

وتغول الغيلان أصل هذا المر وابتدأوه أن القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم

الوحشة، ومن انفرد وطال مقامه في البلاد والخلاء والبعد من الأنس استوحش ولا سيما

مع قلة الاشتغال والمذاكرين والوحدة، لا تقطع أيامهم إلا بالملئ أو بالتفكير، والفكر ربما

كان من أسباب الوسوسة وقد ابتني بذلك غير حاسب كابي ياسر ومثنى ولد الفخافر

(قال) وخبرني الأعمش أنه فكر في مسألة فأنكر أنه عقه حتى جهوه وداووه، وقد عرض

ذلك لكثير من الهند وإذا استوحش الإنسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير

وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت أخلاطه فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم
عنى الشيء الصغير الحقير أنه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً يناشدوه
وأحاديث يتوارثونها فازدادوا بذلك إيماناً ونشأ عنه الناسى وربى فيه الطفل فصار أحدهم
حين يتوسط الفياقي وتشتل عليه الغيطان في الليالي الحنادس، فعند أو وحشة أو فرعة
وعند صياح بوم ومجاوبة صدا وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس
واصل الطبيعة تفاحاً كاذباً وصاحب تشنيع وقويل فيقول في ذلك من الشعر على
حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول رأيت الغيلان وكنت السعلاة ثم يتجاوز ذلك إلى
أن يقول قنتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها
قال عبيد بن أيوب:

فلله در الغول أي رفيقة ... لصاحب قفر خائف متنفّر

وقال:

أهذا رفيق الغول والذئب والذي ... يهيم بربات الحجال المواصل

وقال آخر:

أخو قفريات حالف الجن وانضى ... من النس حتى قد تقضت وسائده

له نسب الأنسي يعرف نجمه ... ولنجن منه خلقه وشمائده

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومد لهم فيه أنه ليس ينقون بهذه الشعار وهذه
الأخبار إلا أعرابياً مثلهم والأغبياء لم يأخذ نفسه قط لتبيز ما يوجب التكذيب
والصدق أو الشك ولم يسنك سبل الوقف والثبت في هذه الأجناس قط وأما أن
ينقوا رواية شعر أو صاحب خير فالرواية عندهم كننا كان الأعرابي أكذب في شعره

كان أطرف عندهم وصارت روايته أغرب ومضاحيك حديثه أكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول أو قتلها أو مرافقتها أو تزويجها، وآخر يزعم أنه رافق في مغارة ثوراً فكان يطاعمه ويؤاكنه فمن هؤلاء خاصة القتال الكلابي فإنه الذي يقول:

أيرسل مروان الأمير رسالة ... لأتبه إني إذا لمضلل

وما بي عصيان ولا بعد منهل ... ولكنني من خوف مروان أوجل
وفي ساحة العنقاء أو في عناية ... أو الأود ما من رهبة الموت موئل
ولي صاحب في الغار هلك صاحباً ... هو الجون إلا أنه لا يعئل
إذا ما التقينا كان جل حديثنا ... عساتاً وطرف كالمعابل أكحل
تضنت الأروى لنا بطعامنا ... كلانا له منها نصيب ومأكل
فأغلبه في صنعة الزاد أنني ... أميط الأذى عنه ولا يتأمل
وكانت لنا طب بأرض مضنة ... شريعتنا لأي من جاء أول
كلانا عدو لو يرى في عدوه ... محزاً وكل في العداوة محمل

وأنشد الأصمعي:

ظللنا معاً جارين نحترس الثاني ... يشاربني من فضتي وأشاربه
ذكر سبعاً ورجلاً قد توافقا كل واحد منهما يدع فضلاً من سؤره ليشر ب صاحبه،
والثاني الفساد. وخبر إن كل واحد منهما يحترس من صاحبه.
فأما من جميع ما ذكرناه عنهم فإثماً يخبرون عنه من جهة المعاينة والتحقيق وغنى المثل في
هذا مثل قوله:

قد كان شيطانك من خطابها ... وكان شيطاني من طلابها

حيناً فلما اعتركا ألقى بها والإنسان يجوع في أذنه كالدوي وقال الشاعر:

دوي الفياقي رابه فكأنه ... أميم وساري الليل لنضوء يعود

يعود أي يضجر، وربما قال الغلام لمولاه دعوتني فيقول لا وإنما اعترى مسامعه ذلك
لعرض لا أنه سمع صوتاً.

ومن هذا الباب قول تأبط شراً أو قول القائل في كلمة له:

يظل بمومة ويمسي بقفرة ... جحيشاً ويعروري ظهور المهالك

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي ... بمنخرق من شدة المتدارك

إذا خاط عينه كرى النوم لم يزل ... له كائن من قنب شبحان فاتك

ويجعل عينه ربيثة قلبه ... إلى سنة من حد أخضر باتك

إذا هزه في عظم قرن تذلت ... نواجد أفواه المنايا الضواحن

يرى الأنس وحشي الفلاة ويهتدي ... بمحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

(قال الجاحظ): ويدل عني ما قال أبو إسحق من نزولهم في بلاد الوحش وبين الحشرات

والسباع ما رواه لنا أبو سهر عن أعرابي من بني قنم نزل ناحية الشام فكان لا يعدمه في

كل ليلة أن يعضه أو يلدغه أو يعض حاشيته سبع من السباع أو دابة من دواب

الأرض فقال:

تعاورني دين وذئب وغربة ... ومزق جندي ناب سبع ومخرب

وفي الأرض أحناش وسبع وحارب ... ونحن أسارى وسطها نخرب

ثم عد في قصيدته ما ينيف عن الثلاثين صنفاً ما بين حيوان وحشرات.

يتبع

جمال الدين القاسمي.

نشوء اللغات الإسلامية

تتمة ما ورد في الجزء الماضي

دعت ضرورة إيجاد ألفاظ جديدة للتعبير عن أفكار حديثة أن تأخذ اللغة العربية من اللغات الأجنبية أو أن تعتمد إلى معجمها بأن تصنع ألفاظاً جديدة أو بأن تضع معاني جديدة للألفاظ التي تبدها في متن اللغة. ولم يكن في العربية سهولة اللغات الرومانية بأن تعتمد إلى اللاتينية أو اليونانية لتصنيع التعابير الجديدة وهذا تألف حزبان حزب يقول بأخذ الألفاظ الإفريقية والآخر لا يرضى إلا بالرجوع إلى الاشتقاق من متن اللغة. والظاهر أن الحزب الأول قد كتب له الغلبة أولاً ولاسيما في بلاد الجزائر وذلك لجهل المترجمين أو لغلبة الكسل عليهم فبدلاً من أن يبحثوا في إيجاد لفظ يقابل اللفظ الفرنسي اكتفوا بنقله عنى ما هو بدون أن يحدثوا فيه تغييراً ثم إن عدم وجود صحافة وطنية مما ساعد على ذلك أيضاً فإن جريدة المشرق الرسمية ما برحت إلى عهد قريب هي الجريدة الوحيدة في الجزائر أما جرائد البلاد الخارجية فلم يكن دخولها إليها إلا من المتعذرات. وقد ذكر المسير واشنتون سويس من جملة الألفاظ الأعجبية التي دخلت على اللغة الجزائرية لفظة شامبيت ويجمعونها على شامبيت أي حارس الحقل بدلاً من عسس الفحص وفي الأوراق الرسمية السيد الكوفرنور جنرال أي سيدي الحاكم العام في حين كان من السهل جداً أن يقال سعادة والي مملكة الجزائر وقد أنحى برسنيه في كتابه الملح العربية على هذا النقل الرديء وحق له أن ينحي عليه قال لأنه لا يفهم له معنى حتى عند الفرنسيين أنفسهم.

وباليتة يرى ما سرى إلى لسان العامة من الجزائريين وفي مكاتباتهم من الألفاظ الفرنسية الخرفة تحريفاً تعذر أحياناً معرفته. وفقد جاء في كتاب الرسائل العربية المخطوطة الذي نشره المسير دلفين لفظة لانتوراليزه فرانسه بمعنى المتجسس بالجنسية الفرنسية ولفظة كاتارفاويتبدلاً من لفظة ثمانية وثمانين. ونحن لا نورد ألفاظاً كثيرة من هذا القبيل من الألفاظ الإفريقية التي يقل فيها التحريف ولا تتأذى منها النفس في العبارة العربية مثل لفظة كونسبون دو امتياز ماء التي وردت في رسالة لأحدهم فنقلناها كما هي.

ولقد وقع رجوع إلى الأصل في مكافحة الألفاظ الأعجمية التي أوشكت أن تغير نضرة اللغة. فأكد المسير باريه دي مينار سنة ١٨٩٦ مع السرور أن الصحافة العربية في مصر وسورية أخذت تستعص عن الألفاظ الأجنبية التي كثرت فيها بألفاظ عربية صرفة وذلك أن اللغة يمكنها بما لها الاستغناء عن الألفاظ الأعجمية وكان منها أن عربت سنة ١٨٩٧ لفظة كونفره بنقطة مؤخر للدلالة على مؤتمر المشرقين الذي عقد تلك السنة في مدينة باريه ووضعت كلمة مشرق لنقطة أورياتناليست الفرنسية وهي اسم الفاعل من شرق والمصدر استشرق أي طلب الشرق أو انتحاء نحو الشرق وهي تنطبق على الأصل الإفريقي كل الانطباق. وأخذ النسان العثماني هذه الألفاظ الثلاث عن العربية وانشأ يستعملها وكان من قبل ينقل اللفظ الفرنسي برمته واحتذى اللغة العربية مطالب الحياة الحديثة هو من العادات المتبعة في الصحافة التونسية ويرجى أن تجري سائر الجرائد العربية في البلاد الأخرى والجرائد السورية والمصرية وهي غودجها ومصدرها الوحيد على مثال الجرائد التونسية في تعريب الألفاظ.

وإليك الآن عدة أمثلة في استعمال المولد من الألفاظ العربية الصرفة اقتبسناها من كتاب المسيو واشنطون سويس ومن هذه الألفاظ لفظة منطاد للبالون ودراجة لبيكيت ومطفأة لمضخة الحريق ومستوصف. ومن جنة الألفاظ التي كانت موجودة في اللغة واستعملت لمعنى جديد لفظة امتياز وإنهاء ودشن افتح وتحقيق ومذهب (سياسي) وصبغة (سياسية). وأنت ترى أن لفظة صبغة بالمعنى الخاص معناها اللون والصباغ أما الذين يصوغون الكلمات المولدة عندما يعدلون إلى ألفاظ موجودة في متن اللغة فبهم يستبدون على المعنى الأصلي لنفط الذي يريدون أن يعربوه. ومن هذه الألفاظ التي كان على المسيو واشنطون سويس أن يضيفها إلى قائمة الألفاظ العربية لفظة كنية فقد كان المترجمون يستطيعون أن يطنقوا عليها لفظة دار العنوم أو دار الفنون ولكن كثيراً من الكتاب لاحظوا أن لفظة أونيغريستيهتعتطي معنى الاجتماع واخسوع فصاغوا من كل كنية وهي ترجمة حرفية لللفظة الفرنسية. ولفظ كلية شائع اليوم في مصر كثيراً.

وبعد فإنا إذا بحثنا عن الألفاظ في كل قطر عربي وعن علاقة ألفاظه بالألفاظ الفرنسية نستنتج ما يأتي: ففي سورية ومصر وتونس كمية كبيرة من الألفاظ الفرنسية مختلفة الأساليب وفيها أيضاً كثير من الألفاظ التركية أو الفارسية انتقلت إلى العربية بواسطة التركية وهي في الأكثر تعابير عسكرية وإدارية أو ألفاظ تشريف مثل باشا وبك وأفندي وخانم. وألفاظ طينانية مثل سيفورطه (ضمان من الحريق أو ضمان الحياة) المستعملة في التركية. ونادر استعمال هذه الألفاظ في البلاد الأخرى وهي شائعة بالاستعمال على الألسن في طرابلس الغرب كما تجد بعض الألفاظ الرومية وهناك ألفاظ أعجمية أخرى ولكنها قديمة وهي مستعملة في مصر خاصة مثل لفظة جنيه الإنكليزية لنيرة المصرية.

وهذا جهاج الألفاظ الأعجمية وقد سبق لنا الكلام على المالطية وهي بين اللغة التونسية والمصرية وفيها أثر كبير من الإيطالية.

ثم أن في تونس لغة مكتوبة منقحة للغاية ليس فيها شيء من الألفاظ الأجنبية ولغة محكية دخلت إليها الألفاظ الإفريقية والإيطالية بكثرة. أما لهج الجزائر فتكثر فيها الألفاظ الفرنسية وفيها كما في لهجة تونس بعض الألفاظ التركية وقليل من الإسبانية والإيطالية. أما لغة مراكش فتجد فيها تعابير فرنسية وإيطالية واقتست قليلاً من لغة البربر وكثيراً من اللغة الإسبانية وربما بعض الألفاظ البرتغالية. وقد أكد الميورميه في بحثه عن هذه الألفاظ المشتركة أن الألفاظ البربرية (التي قد تكون أحياناً ألفاظاً من أصل عربي متبربرة ثم أعيدت إلى اللغة العربية) قلما توجد إلا في البلاد الكبرى التي تكثر فيها اللغة البربرية ثم أن تأثير اللغة الإسبانية في المدن الساحلية محسوس جداً فتراهم يستعملون في الكلام لفظة كوشطاً للساحل مأخوذة من كوستا الإسبانية وفالسو أي رديء الصفة وفافور نعمة وخيلالد محذاة من جنرال وموندا من موني أي المعاملة. ولم يثبت بأن الأدوات أو الحروف دي وديال الكثيرة الاستعمال قد أتت من دي ودل ولكن اللغة العربية المراكشية أخذت عن الإسبانية حرف ب. وقد لاحظ الميورميه وحقت له هذه الملاحظة بأن قلّة التناسب في هذه اللغة وتأثيرها باللغة البربرية والإسبانية ناشئة من أسباب كثيرة والحقيقة أن اللغة البربرية ليست لغة مكتوبة هو من أهم الأسباب على أن العربية كانت في كل زمن محور اللغة البربرية وعاملة على تمدنها وتحضيرها.

من الصعب تعيين اللغات الدخيلة على لغات فارس الوطنية قبل الفتح العربي فللغة البهلوية كتابة آرامية وأكثر ألفاظها آرامية ولكن أي تأثير كان في اللغة من هذه الألفاظ

السامية المشتركة؟ والواقع أن هذه الألفاظ الدخيلة لم تكن أسماء مجردة بل أسماء كثيرة الاستعمال وضعت لما يقابنها من الألفاظ الإيرانية التي كانت ولا تزال موجودة وهذا يقرب من الحقيقة من يدعون أن البهلوية لا تختلف إلا في الخط.

وقد تبدل كل شيء في الفتح الإسلامي فدخلت على اللغة الفارسية ألفاظ سامية جديدة ومنها العربي التي هي تعابير دينية وألفاظ مجردة وأخذوا يكتبونها بألفباء العرب وهذا هو أصل الفارسي الحديث. ولكن هذا التحول طال أمره حتى أن الفردوسي كتب في القرن العاشر كتابه الشاهنامه وهي قصة أبطال فارس بدون أن يستعمل الألفاظ العربية وهذا يدل على مقدرة يصعب تقليدها اليوم وإن كان بعض العنقاء يقدرعون على كتابة مكاتيب مطولة ومقالات جرائد مقتصرين فقط على الألفاظ الإيرانية ولكن من إدغام اللغة الفارسية بالألفاظ العربية نشأت اللهجة الفارسية الحالية.

ولقد كان الفرس والأتراك أو التار في القرون الوسطى الكثير من العلائق التي أبقّت أثراً منها في اللغة وسرت بعض الألفاظ التركية إلى الفارسية منذ قرون ومن جهنها ما ذكر أرمينوس فيري من الألفاظ المسجلة في الفارسية وهي من أصل تركي مثل سالار قائد وخواجه معنم أو آستاد. وسرى إليها بعض الألقاب وأسماء الوظائف مثل آغا وبنك وخان وباشي (زعيم) التي كثيراً ما نراها متصنة بألفاظ فارسية مثل متولي باشي وهو اسم لقب ديني وده باشي زعيم عشرة (أون باشي) أما سائر اللهجات المحكية في فارس كالآرامية ولغات الشعوب القافقاسية الخاضعة للحكم الفارسي فلم تتأثر حتى أوائل القرن التاسع عشر بالمؤثرات الفارسية وهكذا في اللغة الهندستانية على كثرة الصلات الموجودة بين فارس والهند فالواجب مع هذا أن لا نغفل عن لفظة لك مئة ألف وكورور

خمسة ألف وتشاب طبع أو مطبوعات وتنوب هذه عن لفظة طبع العربية وهي لفظة حديثة العهد.

هذا ما يقال في الدور الذي سبق الدور الذي صار لفارس صلات مع أوروبا في أوائل القرن الماضي. وبعد ذاك الدور هاجت الألفاظ الأجنبية اللغة ولم تكن هذه الألفاظ مأخوذة عن أقرب الأمم من فارس كما كان المتظر ولا من أكثرهم نفوذاً فيها من حيث السياسة والاقتصاد بل إن اللغة الفرنسية هي التي دخلت على أهل الجيل الحاضر بأفكارها ومصطلحاتها اللازمة للتعبير عن الألفاظ الحديثة في الشرق.

بحث في هذا الموضوع أحد كبار رجال فارس المرزا عني خان ذكاء الملك مدير مدرسة السياسة في طهران في محاضرة له، ألقاها في مدرسة الاتحاد الإسرائيلي في عاصمة إيران يوم ١٣ نيسان ١٩٠٧ ونشرت محاضراته في المجلة الزرقاء كنكم فيها بعد أن أورد بعض الملاحظات على الألفاظ العربية والتركية والهندية التي أخذها الفارسية على نشوء لغته الحديث فقال أن اللغة الروسية واللغة الإنكليزية لم يسر منهما إلى الفارسية إلا ألفاظ قليلة جداً.

وربما وجد الناظر في لغة أهل طوريس ورشت بعض ألفاظ روسية في اللغة الدارجة ولكنها قليلة للغاية وهذا مما يدل على أن الروس قد أخذوا ألفاظاً كثيرة من لغتهم عن الأجانب مثل الفرنسيين والألمان والإنكليز والطنيان فلم تستع الفارسية من الروسية إلا لفظ سمار واستكان طاس ودروخكا عربية وكاليسكه كاليش (وهي عربية ذات أربعة دواليب) وتارتاس وباراخود للسفينة البخارية وأسكات معامنة الورق وهي من أصل فرنسوي أسيا.

والألفاظ الإنكليزية عبارة عن عشر وهي فاغون وترمواي ونوت من بانكوت وشين وجيلاس (قدح لنشرب) وجلاس لاسار لا سهم الشركات الخ. أما الألفاظ الفرنسية في الفارسية فكثيرة جداً وهي تقسم على الوجه الآتي: الألفاظ العلمية وأسماء العقاقير وأسماء الأطعمة مثل سوب حساء وجيكو فخذ وكوتنت ضلع وأسماء الألبسة مثل كلوش سذاء الرجل وبنوز مشنح وبالتو معطف وباردسو شعار وأسماء لتعبير عن المخترعات الحديثة: مثل تنغراف وتلفون وأتومويل وبالون وغاز للاستصباح وألفاظ لنجندية مثل أسكادرون كتيبة وباتري (بطارية) عدة مدافع ومارش سير هالت وقوف ودفليه مضيق وموسيك موسيقى وإن وجود معلّمتين من الفرنسيين في الجيش الفارسي في أزمان مختلفة قد انتهى باسمهم الألفاظ الإفرنجية وأسماء الأثاث مثل بيانو ولانترن مصباح وأسماء مدرسية مثل كلاس صف وبروغرام خطة وديكته إملاء وثمره واستعمالهم لفظي برلان وكونستوسيون اللتين نقلوهما بالألفاظ شواني مري ومشروطيت أو سياسية فيقولون عنها سياست وتعابير دولية مثل قنصل وقنبر طابع وبودجه ميزانية وهنور شرف التي تقابل لفظة هنر الموجودة في الأصل الفارسي وقد استخرجها مونتكيو وقلت بين الفارسيين كما قبذت لفظتا مرسى الشكر وباردون العفو.

واستج ذكاء المذك أنه لا فائدة من اختراع ألفاظ جديدة متى أريد التعبير عن أفكار حديثة فإن اللفظ الجديد على ما يرى هو غريب كاللفظة الأجنبية التي يراد اتقاؤها. ومن رأيه ألا يؤخذ من اللغات الأجنبية لفظ ما دام في أصل اللغة الفارسية ما يقوم مقامه. ولذا عبروا عن السكة الحديدية بلفظ راه آهينومتولي الأشغال بلفظ مه ختگذار ولفظ

مرسل فوق العادة بنفط مأمور فوق العادة وغرفة التجارة بنفط أنجمن تجارتي ومهندس بنفط في مأمور.

ويغلب على الظن أن عدد الألفاظ الأجنبية سيقبل بعد حين فإننا نرى الجدل قائماً منذ بضع سنين في الصحافة لإعادة اللغة الفارسية إلى نضرتها الأولى والقوم يريدون الرجوع بنعهم إلى لغة الفردوسي بحذف الألفاظ العربية التي كثرت سرايتها إلى الفارسية وألفنا استعمالها على ما تراه من الأمثلة التي أوردناها. ويدعي القائلون بهذا الرأي أن حذف الألفاظ العربية لا يفهم منه مخالفة للدين فما من شيء في القرآن يقضي علينا بأن تستعمل في لغتنا ألفاظ عربية. وإن تناغي الفرس بوطنتهم ما فطر عليه القائلون بهذا الرأي من الغيرة والاقتدار ومن جنتهم اللغوي العالم مؤلف الدولة ليدعوا إلى عقد الرجاء بنجاح هذا المشروع.

كان الأتراك قبل أن يدينوا بالإسلام يسعون ألف باء من أصل سامي أما الألف باء اليونانية أو الرومانية القديمة والويغور فالظاهر أنها لم تكن تقبس شيئاً من اللغات السامية. واقتبسوا عدداً قليلاً من الألفاظ الفارسية والصينية وعدداً غير قليل من الألفاظ المغولية التي كان الاشتراك في الأصول بينها وبين التركية يسهل احذاء مثالها بالنظر لكثرة الصلات بين الشعبين. ومن هذه جملة ما أخذته الأتراك قبل الإسلام من جيروهم حتى إذا انتحلوا الدين الإسلامي تغير كل ذلك. فكانت العربية هي لغة الدين والعلم مصدراً للأثرak يتناولون منها الألفاظ الدينية والعلمية التي تمس حاجتهم إليها وكانت اللغة الفارسية على أتم نشوؤها ولها آداب رائقة هي لغة الأتراك الأدبية في عامة الأقطار وما الشعر التركي إلا على مثال الشعر الفارسي وانتشر التهذيب الفارسي من آسيا

الوسطى إلى البحر الرومي وكانت له المكانة العليا في كل مكان يتكلم به باللغة التركية التي كانت مفرداتها كثيرة في القديم بفضل طرق الاشتقاق الكثيرة الهينة ولكنها لم تثبت أن افتقرت بما دهمها من الألفاظ العربية الفارسية.

وإنك لترى في النصوص القديمة من لغة الويغور ألفاظاً مثل كوتادغو بيليك وهي من القرن الحادي عشر وهي تكثر في لغة الجغتاي نحو القرن السادس عشر وقد تركت لغة الويغور بالمرّة واستقر أمر التركية بأنها لغة إسلامية. أما اللهجات الشرقية التي هي أكثر عراقية في تراكيها القديمة فقد احتفظت بتراتها الرطبي من المفردات أما في اللغة العثمانية ولاسيما في اللغة العثمانية الأدبية فإنك لا تكاد تجد لفظة تركية مقابل ثلاثة ألفاظ عربية أو فارسية الأصل ففي آذربيجان والقافقاس تجد تأثيرات اللغة الفارسية ظاهرة في لهجة القوم كل الظهور وفي آسيا الصغرى ترى اللغة العربية مؤثرة في لغة السكان ولاسيما في النطق.

وليست هذه الألفاظ المشتركة الإسلامية هي الوحيدة في بابها فإنك تجد في لغة سكان التركستان الصينية ألفاظاً سرت عليها من اللغات الصينية ولكن ما أخذ من اللغات الأوروبية كثير للغاية.

في أي عصر دخلت إلى التركية الألفاظ الأولى التي هي من أصل غربي؟ إنه من الصعب أن يحكم بذلك حكماً صريحاً على أن الأخذ عن الرومية نشأه قد حدث منذ القرن الثالث عشر. وفي المعجم اللغوي الذي نشره المسير هوتسنا وكتاب نحو التركية لأبي حيان بعض ألفاظ من هذا القبيل مثل لفظة (أوغور) سعادة (أرغات) صانع وهذه الألفاظ على ندرتها في اللهجات الشرقية تكثر بسرعة عجيبة في اللغة التركية العثمانية

بعد فتح الآستانة حتى أن لفظة (أفندي) الذي كتب المسير سيشاري تاريخها الغريب والتي تقلت بها الحالات صورة ومعنى كانت مستعملة منذ القرن الخامس عشر. وإذا كانت الإيطالية هي اللغة البحرية والتجارية في البحر المتوسط فقد اكتسبت في كل زمان كمية عظيمة من الألفاظ للغة العثمانية فإننا نجد فيها تعابير بحرية وتجارية وهي من لهجة البندقية خاصة.

وقد اقتبس اللسان العثماني عدة تعابير بحرية ورياضية من اللغة الإنكليزية كما اقتبس قديماً من اللغة الجرية واللغات السلافية في اليقان عدة ألفاظ عسكرية أما سائر اللغات الحكية في المملكة العثمانية فاللغة التركية العثمانية تكاد لم تأخذ عنها شيئاً وقد سرت إليها بعض الألفاظ الألمانية وبعض الألفاظ من اللغات الأخرى ولكن الألفاظ الإفرنسية كانت ولا تزال أكثر وجوداً في اللسان العثماني من جميع اللغات الأجنبية. بدأ دخولها على يد السلطان محمد ميد الجيش الإنكشارية ويجب اعتبار هذا التأثير على الأقل نتيجة لازمة للإصلاحات التي جعلت المملكة العثمانية تشابه اليوم بعد اليوم سائر ممالك أوربا بحكومتها

وعاداتها وقوانينها فقصت الحال للتعبير عن أفكار جديدة لإيجاد ألفاظ جديدة وكان معجم اللغة التركية الفارسية العربية يكفي في أحوال كثيرة لسد هذه الثغرة ولكن الأتراك رأوا من السب قبول التعابير الأجنبية ولا سيما الإفرنسية منها على ما هي عليه. وإذا غيروها أحياناً فإنما يغيرونها لتكون موافقة للفظ التركي. وزاد هذا الاقتباس من الإفرنسية إنشاء صحافة تركية وطنية نسجوا فيها على مثال الصحافة الوردية وكثر شعف أدباء العثمانيين بتلاوة مصنفات الفرنسيين حتى حلت محل مصنفات الفرسي نحو

سنة ١٨٥٠ فأصبحت المثال الذي يحتذيه كتاب الأتراك ولا سيما ترجمة القصص الفرنسية التي هي في الأكثر من أسلوب الإنشاء الطبيعية.

ثم عاد القوم منذ خمسة عشر سنة يريدون وضع حاجز دون هجوم الدخيل على لفهم وطرح ما دخلها منه وأرادوا أن يعبروا عما يريدون بالألفاظ التركية وإذا لم يكن فيها ما يقابل اللفظ الإفرنجي يعددون إلى الفارسية أو العربية. وكاد هذا الإصلاح يأتي بالنتائج المنتظرة منه خصوصاً وأن له علاقة بالحركة لتوحيد اللغة العثمانية وهي الحركة التي أشير عليها وسعود إلى الكلام عليها. وعلى أي حال فإننا نرى الآن في الصحافة التركية ألفاظاً مولدة مثل تحت البحر سفينة سي أي غواصة وآثار عتيقة أي العاديات أو الآثار العتيقة ويطر فنك الحياض بين المنزل دولي وغيرها. وقد نقلوا إلى التركية كما نقل كتاب العرب ألفاظاً إفرنجية وضعوها مسيات فترجوها دراغة بنلفظ زرخني ولكن الطراد أبقوه على أصله الفرنسي فقالوا (كروازور) وقالوا عن النسافة (توريدور) وهي من الإيطالية وبالفرنسية (توربل) و (غانبوط) أي سفينة مدفعية وهي من الإنكليزية (كونبوت).

أما المصطنحات العنية فتكاد تكون تقريباً بأجمعها تركية أو فارسية أو عربية ويعمد إلى الفرنسية واللاتينية في النادر ولا تستعمل الإنكليزية ولا الألمانية.

أما سائر النهجات الشرقية التي تأثرت من اللغات العثمانية باللغات الأوروبية فإن اللغة الروسية تكاد تكون وحدها منفردة بهذا الامتياز ولا يشاهد ذلك إلا في اللغة التاتارية خاصة والظاهر أن ذلك بدأ في النصف الأول من القرن التاسع عشر فإنك تجد في القصص الهزلية التي ألفها أليزا فتح العني آخوان زاده التي كتبت بين سنتي ١٨٥٠

و ١٨٦٠ بعض الألفاظ لم تكن روسية فتكون قد سرت إلى التارية من اللغة الروسية مثل (زاكون)

قانون (بيلت) من (بينه) الفرنسية أي تذكرة و (باشور) من (باسور) أي جواز و (مدال) من ميدال أي نوط ولا تكاد الآن تفتح جريدة مثل ترجمان التي تصدر في بعجه سراي وترقي التي تصدر في باكو وجريدة قازان مخبري إلا وتدهش مما تراه من كثرة الألفاظ الروسية أو المصبوغة بالصيغة الروسية لأن كثيراً منها من أصل فرنسوي أو ألماني أو إيطالي.

إذا عرفت من هذا فما هو مستقبل اللغة التركية؟ إنا نشهد الآن لجنة المعارف العمومية في مجلس النواب الروسي تعنى بالكتب المؤلفة باللغة المحلية للندارم وقد رفضت الاستعاضة عن النقط التركي بالنقط التركي وذلك ليحولوا دون الجامعة التركية ولكن من أين نشأت هذه المخاوف؟

نشأت من كون جميع العناصر التركية مهما كانت لمجتهم من الآستانة حتى سمرقند يريدون أن يتعارفوا ويتفاهموا وإنا لنجد الصحف العثمانية تقرأ في روسيا كثيراً والصحافة التركية تخضعها غموضاً تحتذيه حتى ولو كان ما يقتبسونه منها من المولد مأخوذاً من أصل أوربي ولا يجب أن يفوتنا أن كثيراً من الألفاظ الفرنسية قد سرت إلى اللغة التركية بواسطة اللغة الروسية ولكن ما جاء منها من طريق اللغة العثمانية أوفر عدداً.

ولقد أصبح من الظرف في البلاد العثمانية منذ بضع سنين أن تحقر النهجات الشرقية وينظر إليها كما ينظر إلى ما يسنونه قبا ترك أي التركي الغليظ وشغف القوم بالرجوع إلى لغة النيفا وسنطان بابر القديمة الغنية التي افقرت وتبدلت أوضاعها بما دهمها من

الألفاظ العربية والفارسية أولاً والألفاظ الإفرنجية ثانياً فالقوم فيها يبحثون في حذف جميع هذه الألفاظ ليستعوضوا عنها بما يقابنها من الألفاظ التركية التي نسبت منذ عهد بعيد وهي أكثر الثناء مع روح اللغة. وأصبح لهذه الحركة شأن عظيم بما توفر عليه القائلون بطرح الألفاظ الدخيلة على التركية من الأبحاث اللغوية المهم أكثرها كالأبحاث العناء أمثال القائم مقام نجيب عاصم بك والمقالات الكثيرة التي نشرت في جرائد وتأسيس الجمعيات لهذا الغرض مثل جمعية (ترك درنكي) أي المتدى التركي وغرضه درس أصول اللغة التركية وإحياء ما عاث فيه البلى من الألفاظ ويقول المسيو هارتمان أحد علماء المشرقيات أنه يرجى أن تكون لهذه الحركة نتائج حسنة.

وهكذا يرجع العشانيون الأتراك إلى التركية القديمة والثر الروسيون يحاولون الجري على مثال اللغة التركية الشائعة في الآستانة ويطمعون في كل مكان ولاسيما في روسيا أن يوحّدوا اللغة. وهذا العمل يلاقي صعوبات مهمة ولاسيما فيما يتعلق منه باللغة العامية. فاللغة الخكية في القريم هي اللغة العشمانية إلا قليلاً ولا فرق بين هذه اللغة ولغة القافقاس إلا ببعض التعابير المتعلقة بالهجة وبعض الألفاظ الروسية التي يريد القوم طرحها وبعض الصيغ النحوية على أن هذا الفرق لا يحول دون العشاني وفيهم لهجة أوزري من أيسر وجه ومن المتعذر إرجاع لهجات بلاد قازان وآسيا الوسطى إلى هذا الأسلوب. ومهما تم في هذا الأمر فالأنظار متجهة لما يحدث من هذا القبيل في البلاد التركية اتجاهها لما يحدث في سائر العالم الإسلامي مما فيه تأييد روح الوطنية باللغة الوطنية.

لا شيء يشغل بال العارفين من العثمانيين مثل إصلاح ميزانية الدولة وبينما النفوس متطلعة إلى ما يجري في مجلسنا النيابي بشأ^{ها} وردت مجلة العلين الباريزية وفيها مقالة بقلم أحد الأخصائيين في هذا المعنى قال فيها أن واردات السلطان سليم الأول كانت تقدر سنة ١٥٠٨ بـ ٣. ١٣٠. ٠٠٠ دوكا وبلغت سنة ١٥٥٣ ١٥ مليون دوكا وبعد ذلك عاد ارتقاؤها انحطاطاً وقومها ضعفاً مشهوداً بالاقتراض فأصبحت المملكة في قبضة أرباب المصارف من الماليين ولا تزال حتى يوم الناس هذا. فليت شعري هل ينهض أحرار الأمة العثمانية الجددون لإنهاض ماليتهم من كبوتها؟ فالجواب عني ذلك اقتصدوا عني وجه حسن تحسن ماليكم لأن هذه لا تستمد إلا من الاقتصاد عني أن الحالة الزراعية والصناعية والتجارية في السلطنة العثمانية ليست عني ما يرام بالنظر لمثل هذه المملكة الواسعة الرباع والأصقاع. فقد خرجت السنة ١٩٠٥ ١٨ مليون قطار من الحنطة و ٣٤ مليون قطار من الشعير والجاودار (الحنطة السوداء) والقرطمان والذرة. ويستخرج من اليمن قهوة حنة معروفة منزلتها. وتبلغ مساحة الغابات التي خربتها المواشي عشرة ملايين هكتار. ويصدر من ولاية بورصة ولواء أزميد نحو ألف طن من الفياج (الشرانق) وكثير من المواد الطبيعية عني ظاهراً الأرض وباطنها لم تشر إلى الآن لقلة رؤوس الأموال والمهندسين. وتقدر صادرات المملكة و وارداتها بنحو ١١٥٠ مليون فرنك تكاد تقم نصفين وطول سككها الحديدية ٦٦٠٠ كيلومتر.

هذا ما قاله صاحب هذا البحث وقال إن إصلاح المالية العثمانية ليس بالأمر المتعذر فإنها إذا لم تحدث للدولة مشاكل خارجية تطيع أن تنم ثعتها بعد بضع سنين إذا أحسن الأحرار السياسة والإدارة. وهو قول يشبه ما يردده ناظر ماليتنا عني أنه مثل بعض

المالين لا يرى على الدولة حرجاً في الاقتراض لسد العجز من ميزانيتها لأن الدولة تقترض من جهة وتوفي ديونها من جهة أخرى.

ولما كانت الدولة العثمانية دولة حربية منذ أن قامت في الوجود إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم تحتم عليها أن تنفق على جيشها شطراً عظيماً من دخلها وبذلك كانت العسكرية أو إدارة دخلها الإصلاح في الدولة بعد إعلان الحرية وهذا الإصلاح يستدعي نفقات طائلة فقد جعل ما يطلب للحرية في ميزانية ١٣٢٦ ٨ . ٢٨٠ . ٤٥٢ ليرة عثمانية أو نحو ٤٠ في المئة من الواردات والدولة تحاول أن تجعل لها بحرية تضاهي قوتها البرية وهيئات أن يتم لها ذلك وقد جعلت المخصص لهذه الغاية مليون ليرة وأخذت تجمع إعانة لإنشاء أسطول من رواتب الموظفين على اختلاف درجاتهم وقهر أكف الحسين من الأتمن فجمع حتى الآن اثنان وأربعون مليون قرش أوصت بأكثرها على مدمرات ونسافات. وتدفع الدولة زهاء ثمانية ملايين وربع للديون العنومية العثمانية مما يبلغ مع اللازم للجيش البري والبحري زهاء ثلثي الدخل والباقي يصرف رواتب لرجال الإدارة والدرك والمعارف والنافعة.

أما إصلاح المالية فموقوف كما يقول العارفون على إصلاح طرق الجباية وتعديل قيم الأملاك وتضمين الأعشار بحيث يتعادل ما يجبي منها من الفلاحين ومن كبار الأغنياء المالكين وأن تطبق من خطط الإصلاح ما لا يكفها النفقات الطائلة ويكون مأمون المغبة مثل إصلاح ري العراق واستثمار القرب فالأقرب من مناجها وإنشاء الأهم فالأهم من خطوطها الحديدية ومرافقها البحرية. والاضطلاع بجباية رسوم الأغنام وفرض ضريبة التمتع على التجار الوطنيين والأجانب على صورة عدالة وإذا قبلت الدولة بزيادة

الرسوم الجمركية أربعة في المئة تصبح ١٥ في المئة فبلغ الريادة فيها ٣٤ في المئة وإذا أضفنا إليها إصلاح إدارة الجمارك بكثير رواتب الموظفين والاقتصار على المقندين منهم تزيد الواردات نحو ٣٥ في المئة.

وبيت قصيد كل هذا الاقتصاد في النفقات فقد رأينا الحكومة اقتصدت في الظاهر من أمور طفيفة وأسرفت في أمور كبيرة وما ندري على أي قاعدة من قواعد الاقتصاد طبقت فانون التقاعد في موظفيها فبعد أن كان العامل من الموظفين يقبض ألف قرش مثلاً أجرة تقاعده وأخذت تدفع له ألفاً ومئة قرش أي أنها زادت في رزقه وبذلك خسرت من وجهين الأول أنه دخل في زمرة المتقاعدين أنا كان يروجى أن ينفعوها بمعارفهم وتجاربهم ليردوا على عملهم مع مراقبتهم واستعاضت عنهم بإعمار لا يحسنون كيف يسرون إلا قليلاً وتكدت الخزنة من الوجه الثاني زيادة رواتب المتقاعدين.

ولو كانت الحكومة تفت رض المال اللازم لسد هذا العجز لكان الأمر وقتنا لها لا بأس من إقدامها الآن على تحسين ما تريد تحسينه والتوسعة في النفقة ولكنها تنفق بالاستدانة من مصارف أوروبا وعليها الآن نحو ١٣٠ مليون ليرة عثمانية دين للمصارف وقد استلفت في العام الفائت لسد عجز الميزانية أربعة ملايين وهي تحتاج هذه السنة لعشرة ملايين ليرة أخرى.

ويقول السيور لوران المستشار المالي ومع إنه لا يعرف مقدار الديون العثمانية معرفة صحيحة فالمظنون أنه لا يقل عن ٢٩٥٠ مليون فرنك فإذا ضم هذا المبلغ إلى القروض التي عقدت منذ سنة ١٨٨٢ أي منذ إنشاء إدارة الديون العمومية وهي ٣٩٥ . ٠٠٠ . ٠٠٠ فرنك منها ١٧٥ . ٠٠٠ . ٠٠٠ لنديون العمومية ١٥٥ . ٠٠٠ . ٠٠٠

٠٠٠ مليون سنغ و ٦٥ . ٠٠٠٠ . ٠٠٠ لنصرف الزراعي وأخذنا التعديل المتوسط لا نجد العجز يقل عن أربعة وستين مليون فرنك ساهمة وقد تراكت عليها هذه الديون لأنها سمعت في استهلاك الديون المنتظمة.

وكيف يتأتى للدولة أن تكثر وارداتها فتصبح كما قال ناظر المالية ثلاثين مليوناً بعد ثلاث سنين ونحن نراها لم تضع في ميزانية الزراعة والمعادن سوى جزء من مئة جزء وأقل من ثلثائة جزء في المدة لتجارة النافعة ومعظم هذا القدر يصرف رواتب لموظفي هاتين الإدارتين فأين اترك لينفق على إصلاح ري العراق وفتح الناجم وإنشاء الخطوط الحديدية والطرق والمرافئ ولم يزد المخصص للعارف سوى ٣٥٠ ألف ليرة وهو قدر زهيد بالنسبة لاتساع المنكة وأكثر مما يصرف على تربيت العناصر العشمانية لا على تعليمها عندنا ينفع الأمة والوطن.

ومن الغريب أنه ورد على الخزينة السنة الماضية خمسة وعشرون مليون ليرة من الضرائب المتنوعة ومليونان ونصف عن ولايتي البوسنة والهرسك وأربعة ملايين بدل التخني عن بلغاريا وخمسة ملايين صودرت من أموال المخلوع عبد الحميد وأموال أعوانه ونحو مليون من واردات الأراضي السنية ما عدا القرض الذي عقدناه وهو زهاء أربعة ملايين وأنفق كل هذا في سنة واحدة ولعل هذه السنة لا تكون أقل من طريقتها لأتن الدولة لا تأمن كل ساعة أن يفتح عليها باب فنة داخلية أو خارجية تضطر إلى الإنفاق فيها ما لم تدخه في ميزانيتها.

أهم الواردات المخنة في الميزانية ٦. ٢٣٣. ٢٥٩ ليرة من الأعشار و ٣. ٩٨٠. ٣٩٥ من الجمارك و ١. ٢٢٢٠٠٠ ليرة خراج الأراضي ١. ٣٧٧. ٣٦٠ خراج العقارات و ١٠.

٧٩٠. ٧٢٠ رسوم الأغنام و ١. ٢٨٩. ٦١٢ البدلات النقدية إلى غير ذلك من رسوم التمتع والمرتب على الغابات والمناجم مما لا يتجاوز الستة العشرين مليوناً. وقد ألغي منذ ابتداء سنة ١٣٢٦ من البلاد التي لم تحرر نفوسها وأملاكها جميع الرسوم التي كانت تؤخذ باسم الدكاكين والحكيم وما شاء كل ذلك عدا عن رسم الاحساب أو الدخولية الذي كان وضعه من أهم عوامل فتنه الأرناؤود الأخيرة كما ألغيت الرسوم التي تؤخذ من الصيارف وأصحاب المعامل المشاة حديثاً وجميع القوانين المتعلقة بالعمنة المكلفة وتذاكر المرور أي الجوازات وتحصيل بدلات الطرق نقداً لا بدناً وتلغى الرسوم التي أحدثت في الكمارك بدون استناد على قانون أو نظام وألغيت الرسوم التي كانت تستوفيها الحكومة تحت أسماء الدلالية الزورق والرحى والخطب والفحم والباج والصياغ ومعمل القرميد والقصب والمضيق ومرور الحيوانات وميزان الفضة وتمغته وغيرها كما ألغيت رسوم الجسور والمعابر في ولايات بغداد والبصرة والموصل والقدس وبعد جهات أدرنة فإنها تركت للبلدية.

وقد كتب شفيق بك المؤيد نائب دمشق في مجلس الأمة العثمانية وهو ثقة في الشؤون المالية مبحثاً قال فيه: إن ديون الدولة يوم تألفت إدارة الديون العمومية محررة بالضبط في تأليف قانون هذه الإدارة وكانت يومئذ عبارة عن ١١٦. ٨١٥. ١٧٢ ليرة عثمانية غير أنا إذا دققنا نجد أن قيمة هذه الديون الحقيقية لا تتجاوز ثلاثين مليون ليرة لأن القيمة

أخرى في القانون هي قيمة اعتبارية لا حقيقية وقد قسمت الديون المذكورة وقتئذ إلى أربعة أقسام أعظمها وكان يتناول أكثر من ثلاثة أرباعها ما كان معروفاً عند أصحاب الدين باسم (ترتيب د).

وهكذا كانت المئة منه تختلف أبداً بين ١٧ و ٢٠ وإنا على ما ذكر ما تجاوزت قط قبل أن تظهر مسألة توحيد الديون ٢١ و ٢٢ كما أن مجلس الديون العمومية لم يدفع قط في مشتراه لاستهلاك الدين قيمة فوق ذلك. وإني لأتبرهان جلي على أن قيمة الحقيقية أعني قيمتها في البورص لم تتجاوز قط ثلاثين مليوناً. وذلك أن مجلس الديون العمومية كان ولم يزل ينشر كل سنة خلاصة أعماله في رسالة مخصوصة يطبعها ويوزعها على أصحاب الدين. وقد وقعت يدي الآن اتفاقاً على رسالته عن عام ٣١٤ فوجدت أن الفائدة التي أداها المجلس تلك السنة عن الأقسام الأربعة المذكورة بلغت ١. ٠١٤. ٤٨٣ ليرة عثمانية فإذا أضفنا إلى هذا المبلغ ما يعود من صافي الواردات لأسهم السكة الحديدية الروملية وهو ١٥٦٣٣٥ ليرة بنج المجموع ١. ١٧٨. ٠٨٠ ليرة وإذا أخذنا رأس مال هذا المبلغ بحساب قيمة الديون الموحدة وجدنا ذلك لا يبلغ ثمانية وعشرين مليوناً غير أنه يجب لأجل تعيين ومقدار الديون الخارجية وقتئذ أن نضيف إلى هذا المبلغ قيمة الديون المضمونة بخراج مصر والدين الذي كان معروفاً بالتحويلات الممتازة فبلغ مجموع ذلك زهاء خمسين مليون ليرة وهذا يكاد لا يتجاوز مقدار الدين الموحد الآن فأين هذا من ١٥٠ مليوناً.

أما ديوننا الخارجية الآن فهي كما يأتي وهي أرقام حقيقية راهنة لا اعتبارية:

١٨. ٦٠٦. ٦٩٨ الديون المضمونة بخراج مصر.

٥٢. ٣٩٤. ٦٥٩ الدين الموحد.

٣١. ٣٣٢. ٥٥٤ ديون أخرى مودعة لجلس الدين.

٢. ٣٩٩. ٦٠٦ ديون لبعض البيوت المالية.

١٥. ٢٦٢. ٧٦٤ ديون منوط أمر تأديتها بنظارة المالية (منها القرضان الأخيران).

١١٩٩٩٦٢٨١ المجموع.

فإذا أضفنا إلى هذا المبلغ قيمة القرض الذي توي الحكومة عقده وأضفنا عشرين مليوناً رأس مال ما ندفعه كل سنة ضماناً لشركات السكك الحديدية نجد أن مجموع ديون الأمة ستجاوز في منتهى هذه السنة المالية مائة وخمسين مليوناً فتزيد عنها يوم تأست الديون العمومية ما يقرب من مائة مليون.

قال على أي لست من الذين يتعظمون هذا المبلغ ويرون أن أحوالنا المالية وخيمة العاقبة لجرد تراكم هذه الديون علينا. كلا وإنما الخطر كله في سياسة الحكومة المالية وانحرافها عن طريق الاقتصاد متبعة خط التبذير والإسراف في جميع شؤونها وأمرها مما لا يقف بنا عند هذا الحد بل يجرنا إلى عقد القروض الجديدة فنحل عائق أخلافنا ما لا يقدرون على القيام بأعبائه ونبيع أجل القمة بعاجل لقمة نحن في غنى عنها.

وإن في ميزانية السنة الحالية أجنى برهان وأعظم دليل على ما قدمت.

تقررت ميزانية الدولة العثمانية عن سنة ٣٢٦ بعجز يتجاوز عشرة ملايين ونصفاً من الذبوات العثمانية ومهما قال القائلون فهذا العجز لا ينقص عندي عن ثمانية عندي عن ثمانية ملايين فتحتاج الحكومة لسده أن تعد قرصاً يقرب عشرة ملايين بزيادة نحو ثلاثة ملايين عن العام الماضي.

ولا يخفى أن ديوننا الخارجية وضمانات السكك الحديدية مع الواردات المخصصة لها مفوضة إدارتها جميعها إلى دائرة أجنبية لا تأثير للحكومة في أعمالها وهذه الواردات مع النفقات وفائدة الديون المخصصة لها يجب في الحقيقة تزييلها عن الميزانية إيراداً ومصرفاً فإذا فعلنا ذلك رأينا أن صافي الواردات التي للحكومة حق التصرف بها يبقى عبارة عن ثمانية عشر مليوناً فإذا استقرضت الحكومة عشرة ملايين لسد عجز الميزانية تكون قد استقرضت ما يقرب من ستين بالمائة من مجموع وارداتها فما ظن القراء بتاجر لا يكفي أن يصرف سنوياً على خاصته وأسوته جميع كسبه وإيراده بل يقترض فوق ذلك ستين في المئة من مجموع هذا الكسب والإيراد اهـ

حكم إفريقية

التألم على ما يرغب فيه أكثر من الاستمتاع بما تملكه اليد هذا ليس من المعادة في شيء بل هو من سبب الطامع.

إن ما تشتر منه نفوس أرباب الأفكار الصالحة من المناقشات هو أنها تنتهي بالخصام. كثيراً ما يكون الاستهزاء إفلاساً في الفكر.

ما من شيء أدل على الخدق أكثر من حسن السلوك.

الجيل على ثلاثة ضروب: جهل بكل شيء ومعرفة ناقصة فيما تعلمه ومعرفة غير ما يجب عليك معرفته.

يتوهم الأولاد والأجانب أن عشرين فرنكاً وعشرين سنة لا يتأتى أن تنتهي.

شارك الناس في أفراحك تعظم وشارك الناس في أتراحهم فإن الترحمة الجزأة يقلل تأثيرها.

يسأل الحكيم نفسه عن سبب أغلاطه والأحمق يسأل عنها غيره.

سران يضئان احترام الشيخوخة وصفاء الحياة: حب العمل والشعور بالواجب.

النظام يسعف الذاكرة ويوفر الوقت ويحفظ الأشياء.

يقرأ الإنسان ليهرقلو كان الناس يقرؤن ليكونوا أحسن حالاً يصبحون عما قريب أمهر وأحذق.

نشكو قليلاً في الأحيان من أحيائنا لنبرر سلفاً خفتنا (لاروشفو كولد).

إن تعلم النظر هو أطول الفنون وأصعبها (كونكور).

إننا نحب من يعجب بنا ولكننا لا نحب أبداً من نعجب بهم (لاروشفو كولد).

يجد المرء في السياحة رأس مال للطالة لا يخلو منه زاوية من زوايا قنب كل منا (بانفيل).

علينا وحدنا أن نحرس أفكارنا ففي البيوت نسهر على أخلاقنا وفي المجتمعات نحرس ألسنتنا (العقيلة دي ساتيل).

لا يحدث في الحياة أمر لا كنا نخشى منه ولا كنا يؤمل فيه.

أشبه بمن يقول الكذب من يورد قولاً في معرض الحق وهو لم يفكر فيه.

في القراءة أجمل سنوى عن الحياة وعن النفس.

استمع مئة مرة ولا تتكنم إلا مرة واحدة.

من العار الحذر من الأصحاب أكثر من الانخداع بهم.

أحق أنواع الإسراف بالنوم الإسراف في الوقت.

الاعتياب ندالة ولا قوة له إلا على المتغيب.

العفو طيب الفضيلة.

إن لك من الحاضر دواء وما دمت تتعذب منه فاعقد الرجاء بالخلاص.

التربية الأوربية

سادتي الأخوان الأعزاء:

أوعز إليّ بعض أصدقاء هذا المنتدى الكريم أن أحدثكم بما رأيته في رحلتي الأخيرة إلى أوروبا فلم تسعني مخالفتهم لأن الطلاب أعزّة وتبادل الأفكار مهم مع أشرف المطالب ولكن الموضوع كبير لا يتسع وقتي الآن للإحاطة بأطرافه كنه ولا أوقات الحضور الكرام إلى وعيد وسماعه ولذلك أقصر منه في هذه البينة على الإشارة إلى طرف مما تأثرت به نفسي في درس معالم الحضارة الأوربية في أماكنها واستطلاع طنوعها بالعمل بعد الاشتغال بدراستها بالنظر مدة. ولذا أستطيع عذركم إذا لحظتم في أقوالى شيئاً مما لم يعتد بعضكم سماعه فأنا أقص عليكم شعوري ولا حرج على الشعاعين كما لا حرج على الشعراء.

أول ما يقع عليه نظر الداخل إلى أرض أوربية ذاك الانتظام الغريب في مرافق الحياة فيسقط لأول وهنة على نموذج صالح من استبحار العمران هناك بل يتجسم في عينه وذهنه ما سمعته إليه ولا تزال تسعى تلك الأمم الراقية من الأخذ بأسباب الراحة والبسطة من طريق التكنل العنفي والنشوء الاجتماعي والعنفي.

ولا يزال هذا النموذج من العمران يعظم في نظر السائح كلما طاف المعاهد وزار المشاهد وجال في القرى والساكن والحواضر والقواعد. وكل فرع من فروع هذا الارتقاء العجيب يحتاج الناظر في وصفه إلى مجند برأسه حتى يتجنى لتسامع بعض التجني وما رآه كمن سمعاً.

مإذا أذكر لكم أيها الأخوان من حال أوروبا ومدنية الغرب الراقية التي بلغها بقوة العقل وتطبيق العلم على العمل؟ أحدثكم بصناعاتها التي تبهج النفس؟ أو باتساع متاجرها التي

لا يحصيها العد؟ أو بارتقاء زراعتها التي تنادي بلسان حالها ومقالها بأنه لم يبق بعد ما بنفته غاية؟ أم أذكر لكم حال الجامع العلنية والسياسة والجمعيات الاجتماعية والنقابات التجارية والصناعة أم المدارس الجامعة والكلية والثانوية والابتدائية أم المتاحف والمعارض والمكاتب والمجالس والمصارف ودور التخيّل ومحال الطرب والأنس؟ كل هذه المشاهد كنت أختلف إليها في أوقاتها وأجتمع برجال العلم والأدب والسياسة منذ الصباح إلى ما بعد منتصف الليل ونفسي تتأثر بتغير المشاهد بحيث تمكث عليّ مشاعري فلا استطع التفريق في الحسنات كآني ابتليت بداء الاستحسان لا تقع عيني على شيء ولا تسمع أذني بشيء ولا يتصور ذهني أقل شيء إلا وأخذ به جهنة وتغرق النفس في استحسانه وتغار في وصفه.

ولقد عزمت أن أدون في مفكرتي ما يعرض لي من المناظر والمظاهر ويتردد في صدري من الأفكار والخواطر وأحضره من المحاضرات والخطب والدروس النوادر ولما كثرت عليّ الموضوعات كلّ القلم من التقيد وقلت إنك يا هذا تكفي متى عدت لتحدث قومك بما رأيت من تسجيل ما يعنى في ذهنك وبعض مما فيه الغناء والكفاية. نعم تركت التقيد على خلاف عادتي فصدق في قول الشاعر:

تكثر الطباء على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد

لولا أن اليأس من أعظم الأمراض في الأفراد والجامعات لطاوعت النفس وفطنت من غصة هذا الشرق بخارات الغرب ولولا أنني أعتقد بأن النجاح مقدور لكل مخنوق يعمل وأن الأجسام تكون من الذرات وأن من الجزيئات تنشأ الكليات لسجت بأن قيام الشرق العثماني وهو على غصه المشاقلة البطيئة التي نشهدها أمر متعذر إلا بعد قرون أن

كُتبت له الحياة. ولكن أمامي مثال الدولة اليابانية ممثلة الشمس المشرقة رأيتها جارت أكبر الدول الأوروبية في ثلاثين سنة وفاقته من كانت تعمل منذ ثلثمائة سنة من الدول الغربية فبلغت درجة عالية من الحضارة.

نعم إن اليأس يجب أن لا يتطرق إلينا وإن كنا ويا للأسف تحت وصاية الغرب اليوم في كل شأن من شؤون حياتنا السياسية والاجتماعية والعلمية والتجارية يصرفون علينا ما يريدون من ضروب المعارف ويرمحون بعقولهم منا أنواع الأرباح والمكاسب ويستثرون شرقنا بكل ما لديهم من ذرائع العنوم والفنون ونحن معهم باهتون شاخصون شأن عبد مع سيده أو جاهل مع عالم.

حضرت دروساً كثيرة في الكوليج دي فرانس وهي المدرسة العظيمة التي تضم في صدرها زهاء أربعين عالماً من كبار علماء فرنسا يقرأ كل واحد منهم درسين اثنين في كل أسبوع في العلم الذي أخصى فيه وتفرد به طوال عمره وتكون دروسهم عامة يحضرها كل من أراد فتدل على كرم الفرنسيين في العلم.

وحضرت دروساً في مدارس أخرى ووقفت إلى سماع خطب ومحاضرات كثيرة فتم أر في أكثرها إلا تعصباً على الشرق وغمطاً لحقوقه.

أذكر لكم على سبيل المثال محاضرتين دعيت إليهما لعلموا منها مقدار ما يعده الغرب لشرق ومنع حكم أبنائه علينا ولكم بعدها أن تقيسوا حاضرهم بحاضرنا وغابرهم بغابرنا وتضحكون بعدها أو تبكون.

فالمحاضرة الأولى كانت في قاعة السوربون الأولى أي كلية باريز وهي المكان الذي جرت العادة أن يكون معهد المعلمين للعلم من الفرنسيين فأقامت جمعية آسيا الفرنسية

والجمعية الجغرافية حفلة للاحتفاء بأعضاء بعثة بليو إلى التركستان الصينية وكنشو بحضور جماعة من أعضاء الجمع الفرنسي ولم يقل الحضور أقل من ألف وخمسة مئة وستمئة والمسيو بليو هو في الثامنة والعشرين من عمره طلق النسب^{ان} في آية البيان وهو أستاذ اللغة الصينية في المدرسة الفرنسية في الشرق الأقصى. شرح في محاضراته ما لاقاه في رحلته التي بدأت في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٦ وانتهت في الصيف الماضي وأتى على ما وفق إليه من الاكتشافات الثرية والكتابية وغيرها في آسيا الوسطى مما حفظ لفرنسا شهرتها القديمة في البحث عن الآثار وقال أن العصب هناك انتشر بانتشار الإسلام في القرن الحادي عشر للمسيح فكان من ذلك العصب أن أتى على الآثار بمجنتها. وقد قرع الشرقين عامة والمسلمين منهم خاصة أنواع التفرع. أما رحلته فهي كمائر الرحلات العنية التي يرحلها الغربيون إلى آسيا وأفريقية فيكونون مقدمة لفتح والاستعمار وقديماً كان الشاعر يقول السيف أصلق أنباء من الكتب فإذا أرادت الأمة أن تفتح بند أخرى ترسل عليها السيوف والبنادق ثم تمهد البلاد بالمعارف أما اليوم فيرسل الغرب رجال العلم يرتادون البلاد أولاً ثم يرسلون مدافعهم وبنادقهم وآلات تدميرهم والأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد ادعى بليو صاحب البعثة والغالب أنه على حق فيما ادعاه أن ما وفق إلى جلبه من الآثار قد أغنى مكتبة الأمة في باريس بألوف من المخطوطات الصينية ومنها شيء في تاريخ الصين كما أغنى متحف النوفر الشهير بتماثيل ورسوم ونقوش فأصبحت باريس بذلك عاصمة الدروس الصينية في أوروبا ويحق لها أن تفاخر بأن مجموعة ما عندها الآن من الآثار الصينية ليس لها مثل في الغرب حتى ولا في الصين نفسها قال وغاية البعثة في التركستان

الصينية ولا سيما في مقاطعات قاشار وأرومشي البحث عن بقايا التمدن البوذي الذي سبق التمدن الإسلامي إلى هناك وأنه رأى جميع أهل التركستان من أهل الإسلام وإذا كان دينهم يحرم التناثيل والصور لم يظفر بكثير منها في الأماكن المطروقة إذ كانت تعبت بها أيدي المتعصبين منهم.

وقال أنه رأى لسوء الحظ أن قد سبقه إلى ارتياد تلك الأصقاع أناس من الألمان والإنكليز واليابان والروس ولنغاية نفسها ولكنه وفق إلى أنه اكتشف بين قاشار وكوتشار في نصف الطريق في طومشونك تمثالاً بوذياً صغيراً بين الصناعة اليونانية والبوذية حريٌّ بأن يكون صنعة بين الصناعة الشرقية القديمة والغربية وظفر في قاشار تحت أنقاض أحد المعابد في طبقة كثيفة بمخطوطات هندية فأحرز ثمنها بواسطة راهب انقطع في تلك المغاور ووصف تلك البقاع بأنه لا شجر فيها ولا عشب مع أنك تمشي ألوفاً من الكيلومترات النهم إلا في بعض الواحات. وأكثر تلك الأصقاع جبال شاهجة ومنحدرات كثيرة ورمال محرقة فكانت الحرارة في الصيف تصل إلى الأربعين درجة وفي الشتاء إلى الخمس والثلاثين تحت الصفر حتى كان الحبر يجمد في أيدي أعضاء البعثة متى أرادوا أن يقيدوا آثار بعثهم وقد أخذ أحد أعضاء البعثة صورة طوبوغرافية من خط هذه الرحلة وفوائد فلكية في عدة نقاط وآب بمجموعة من الحشرات والحيوانات تغني المتحف الطبيعي وبصور كثيرة عرضت بالقانوس السحري على الحضور تلك النينة حتى لكأنهم ذهبوا بأنفسهم إلى تلك الأصقاع النائية.

هذه المحاضرة الأولى التي تكهرب بها جسي وتأثرت عواطفي وسمعت بها مهانة أممي بأذني. والمحاضرة الثانية التي ألقاها المسيو تارديو من كبار السياسيين الفرنسيين وصاحب

المقالات الافتتاحية في جريدة الطان في الدولة العثمانية فهو أول أخصائي في سياسة الشرق ولاسيما دولتنا يقلب القلم بين أصابعه كما تشاء حكومته. حضرت خطبة له في مدرسة اللغات الشرقية الحية ألقاها على طلبة تلك المدرسة العالية من يتخرجون الآن لينهبوا إلى الشرق فيما بعد لخدمة حكومتهم ويكون منهم التراجمة والقناصل والسفراء ببيان لم أسمع من العرب ولا من العجم أبلغ منه لم يتسم ولم يعدس ولم يكرر وقلنا رأيت إنساناً درس موضوعه وأعد له المواد التاريخية والمستندات أكثر من ذلك ولكن سياسة المنافع والمصالح كانت تنوح صراحة من خلال كلام الخطيب فكان عجيبي بتحامله على الدولة أكثر من عجيبي بدلاقة لسان فقد تكلم على علاقة فرنسا بالشرق ولاسيما الدولة العلية فقال أن فرنسا صاحبة الفكر الأول في الحروب الصليبية قد أتى عليها زمن حالفت فيه الدولة العلية أيام قوماً لتخدمها لأغراضها وقد جنى الفرنسي ثمار هذا الوفاق ثم لما مضت سنون والدولة لم تر خيراً لها من تلك اخلافة نزعته يدها من يد حليفها ثم عادت فرنسا فبعثت أبناءها إلى القريم ليحاربوا مع الإنكليز والعثمانيين جيوش الروس لأن مصنحتها اقتضت إذ ذاك وأفاض في نشأة الامتيازات الأجنبية في البلاد المصرية والعثمانية وقال أن فرنسا في كل دور من أدوارها استخدمت الدولة العلية لمقاصدها وأن لها اليد الطولى في المسألة الشرقية أي استقلال بلاد البلقان واليونان وأنها لا تقصر كل حين في بتر عضو من أعضاء هذه الدولة حتى تموت وتفتن.

فيا أخواني وسادتي أيسمع عثماني هذا الكلام ولا يجهش نفسه بالبكاء ولا تذوب كنداً وحسرة وتسود الدنيا في عينيه؟

هذا بعض ما يعده الغرب للشرق فبماذا يعد الشرق للغرب؟

نحن يا قوم لا نحفظ كيانتنا ولا نحفظ بلغتنا وديننا وآدابنا إلا إذا قاتلنا من يريدون قتالنا بالسيف الذي يقاتلوننا به. وأعني به سيف العلم. نحن يقضى علينا أن نأخذ من تلك المدينة الغريبة التي تدهشنا مكل ما ينفعنا لقيام مجتمعنا نأخذ عن رجال العلم منهم ونحتك بهم زمناً لنستفيد ونعرف الطرق التي يجب علينا سلوكها.

رأيت الدولة بعد انقلابنا الأخير بعثت بزمرة من الطلبة العثمانيين ليدرسوا في مدارس أوروبا ولا سيما في مدارس باريس فقدرت عددهم قليلاً جداً بالنسبة لجنوع هذه الأمة. وإني لأخجل أن أقول لكم أن عدد الطلبة البلغاريين في روسيا وألمانيا والنمسا وفرنسا والبنجيك وإنكثرا أكثر من عدد الطلبة العثمانيين وإياكم أن تظنوا أن جميع طلبة الأجانب تبعث بهم حكوماتهم ليدرسوا على نفقتها بل إن لهم الأفراد شأناً عظيماً في هذا الباب وكثيراً ما ينفق الطالب من مال أبيه عن سعة حتى لا يتم دروسه إلا وقد أتى على آخر فنس مما عنده وهو مغبط بما صنع لأنه أحرز رأس مال ثمين لا يقدر بالملايين والكروات وعاد وهو يعرف كيف يخدم أمته وبلاده.

نحن مقصون كل القصور في إرسال أبنائنا إلى ديار الغربية ينتقون درر العلم من بحار كنيستها ومدارسها والعرب في هذا المعنى أكثر العثمانيين قصوراً. ولقد أحصيت جميع من يدرسون من أبناء سورية في أوروبا على نفقة الحكومة أو على نفقاتهم فلم أقدر أن أوصيهم إلى ثلاثين طالباً أكثرهم يدرسون على نفقتهم فليت شعري أليس هذا العدد بقليل على قطر يناهز سكانه اثلاثة ملايين. هذا من سورية أرقى البلاد العربية وما أظن أحداً من أبناء العراق والجزيرة والحجاز واليمن وطرابلس وبرقة وغيرهم من الأقاليم

العربية يدرس في مدارس أوروبا فيكون هؤلاء الثلاثون طالباً خمسة عشر مليوناً من العرب العشائيين يصيب كل مليون نسمة طالبان وما أعظم ذلك من قصور وتقصير.

نعم هو تقصير وليس وراؤه وراءه وهم كاد يصدق به علينا حكم الغريب. وإني لأرجو أن لا تكون أقوالنا أكثر من أفعالنا فإن الكلام لا أثر له بقدر الفعل. نريد معاشر العرب أن نجاري الأمم الراقية بل سائر العناصر من أخواننا العشائيين ولا نجاريهم على الأقل في مضمار العلم؟

نتناغى بالوطنية وتندب حظ اللغة العربية ونحن أبناءها الذي نعقها ولا نعلمها. أليس مما يزعم أن يخطب العربي أباه وأمه وأخاه وصديقه بغير لغته الأصلية؟ يعمل ذلك لا ليعلمون على تلقف غير لغته بل لأنه لا يعرف أن يتكلم ويكتب بنسب أبيه وأمه وقد يكون في الأكثر ممن يفرض عليهم فرض عين تعلمها ليفهم بها كتابه وشريعته.

أنا إن كنت عربياً وأحب العرب وأريد فهمهم أيسر لي كل ما أريد إذا لم أحاط بهم وأخطبهم وأكتب لهم بفهمهم التي يفهمونها. أنا إن كنت أريد الإطلاع على مجد آبائي وأجدادي أتمكن من ذلك بدون دراسة ما خلفوه من آثارهم وهل ييسر لي إلا باللغة التي كتبوا بها؟ أقول هذا وأنا أسف كل الأسف على قصور العرب على تعلم لغتهم قصوراً لا أبالي إذا قلت أن فيه العار والشار.

أيزهد سلالة العرب الأكارم في لغتهم ويتعلمونها المستشرقون أكثر من علماء العرب أنفسهم؟ أيزهد العربي ابن العشرين في العربية ويتعلمها رجل أعجمي في الستين من عمره. وأعني به الكنت دي سارديج الفرنسي. هذا الرجل من أهل الطبقة العالية في غناه كان والده سفيراً في طهران عن الملك لويز فيليب ملك فرنسا وقد كان هو موظفاً

في السفارات وأجر وظيفة له رئاسة ترجمة سفارة فرنسا في مدريد ثم استقال وهو يسكن في الصيف في

قصر له في لوزان في سويسرا وفي الشتاء في باريز وقد أقام في ذهنه منذ أشهر أن يدرس اللغة العربية للاطلاع على حضارة العرب ومدنيتهم الباهرة فاتخذ له أستاذاً صديقنا ووطنياً ميشيل أفندي بيطار وأنشأ يتخرج به فقطع شوطاً في التعلم وإذا كانت الدواعي تضره إلى المقام في قصره في سويسرا أكثر من باريز وكان أستاذه لا يستطيع أن يلحق به إلى سويسرا كتب إليه ينتس منه التماس التليذ من أستاذه أن يبعث إليه بدروس عشرين يوماً حتى لا يضيع وقته مدة مقامه في سويسرا ويحرم من الاستفادة والتحصيل فإذا آب إلى العاصمة يعاود من بدأ به.

هذا الرجل على أبواب الشيخوخة وهو في هذه السن يحاول أن يتعلم لغة شرقية لا عهد له بمعرفتها. أو أن يتعلم لغة القرآن ليدرس بما مدنية أهله وشبان العرب أنفسهم يترفعون عن أن يقضوا ولو بعض أوقات فراغهم في إحكام لغتهم. هذا هو مثال صغير من أمثلة الهنم في الشرق وأمثالها في الغرب فهل فيكم يا شباب المستقبل وقرة عيون العشانية العربية من يمشي على أقدام هذا الشيخ الفرنسي حتى لا يجيء علينا وقت نضطر فيه أن نأخذ لغتنا بل ديننا عن أوروبا ونكون تحت وصايتها حتى في أمس الأمور بتاً وأعقبتها بقلوبنا؟

كل ما نراه من همم الغربيين ومثباتهم هو محصول الكتاب والمدرسة فأنتم وأمثالكم شباب هذه الأمة في أيدي اقتداركم أن تجددوا لها شبابها إذا وضع كل منكم نصب عينيه الذهاب إلى الغرب وقضاء سنين في الدرس والبحث ليرى بعينه ويحكم بنفسه على

قصورتنا عن الغربيين وفقرتنا وغناهم وشقائنا ومعادقهم ليعلم أنني لا أغالي فيما أوردته لكم بل إنني عاجز عن الوصف والتعريف. ولا يقعن في أذهانكم أن الذهاب إلى أوروبا بعيد المال وأنه لا يتيسر إلا لكبار الأغنياء فالعيش في معظم البلاد الأوروبية أرخص من الأستانة ومصر ودمشق وبيروت والمدارس رخيصة أجورها ولا يكاد لها أجور ومنها ما أجرة الطالب فيه مع الأكل والنوم والدرس ستون فرنكاً في الشهر ومثل هذا القدر من المال لا يصعب على أحد فيما أحب أن يعده أو يستغفه على المستقبل مهما بنغ من ضيق ذات يده.

يا أبناء قومي ويا زهراء أمتي! أليس من العار أن تكون بلادنا التي لا تعيش إلا بالزراعة ولا تحيا إلا بالزراعة خالية من عارفين بها على الأصول الحديثة فلا يكون الذين يتعلمون منا هذا الفن في أوروبا سوى طالبين اثنين أحدهما في المدرسة الزراعية في لوفان من أعمال البلجيك وهورفيك بك بيضون من بيروت والآخر في كرنبون من أعمال باريز في مدرسة كرنبون الزراعية واسمه مصطفى أفندي الكيلاني من حماة. كلاهما من أبناء الأعيان ولهما أراض ومزارع فنعماً عملاً بالاختصاص بهذا الفن الشريف المفيد ولكن أليس في أبناء سورية بل البلاد العربية أحد من أبناء الأعيان يملك أراضي وقرى غير هذين الشابين؟ بلى إن المالكين كثر ولكن محبي الدرس قليل! هذا في فن الزراعة فنتى يقوم أناس لعلم الكهربائية ومد الخطوط الحديدية والهندسة العنلية والصناعات الحديدية واليدوية والتجارة وغير ذلك مما نحن فيه عيال على الأوروبيين.

زرت مدرسة كرنبون الزراعية وهي على مسافة ساعة من باريز فرأيت شعارها مكتوباً بقلم غليظ في مكتبتها بما معناه: الأرض هي الوطن ومن توفر على تحسينها يخدم وطنه

ولكن قومي غفر الله لهم يحرقون هذا الفن فيما أرى. فإن كنا نختلف في البديهيّات
فنتى نغق في غيرها؟

زرت كرنيون ورأيت فيها عبد القادر الكيلافي يلبس مشلح الزراع ويدرس كما يدرس
أبناء الأعيان في فرنسا ويجاريهم في ذكائه وأطعني عني عني ما في مدرسته من متاحف
ومعارض واعطلات وحظائر لتربية الماشية وحدائق لغرس النبات والبقول وغابات
لنزهة والانتفاع وأدوات للنعل وحرث الأرض وكرثها.

رأيت كل هذا وأكبرته وقلت في نفسي لو هذا السوريون في الزراعة وتربية الماشية حذو
الفرنسيين فيها وتربتهم تلاءم تربتنا وأقاليمهم أشبه بأقاليمنا لاغتينا غنى يغنيا عن
الحجرة وتطلب الوظائف الاتكالية فقد ذكروا لي أن خروفاً علفته إدارة المدرسة سنتين
عني الطريقة العنية فيع في أحد المعارض بسعين ليرة. فأين خرفاننا التي يباع الواحد
منها بسبع ليرات. مهنا علفناها بجهننا وبساطنا وأطعناها السنسم المقشر أو الشيح
والقبصوم والعرار والعرعر.

ولكن الآمال معقودة بأن تعلف خرفاننا عني طريقتهم ونشتر تربتنا عني أصولهم نربي
عقولنا عني مناحيهم ونطبع دوابنا وماشيتنا بحسب ستهم فيكون إذ ذاك أبناء عبد
القادر في التوفر عني زكاء التربة في نفعهم لهذه الأمة عني مستوى جدهم الذي زكى
النفوس في عصره. وتركبة التربة لا تقل عن تركبة التربية والمآل واحد.

مدرسة كرنيون الزراعية هي التي أوصى أبناء الأعيان وغيرهم التخرج فيها لتخصب بهم
تربتنا بعد إجدابها وتمالاً جيوبنا بعد فراغها والمال مبدأ كل عمل وفاقحة كل ارتقاء مادي
وأدبي.

نحن لا نرقى الرقي المطلوب إلا إذا تعلمنا العلم العيني وزهدنا قليلاً في شغشقة الألسن والنظريات المجردة. ومن جهة المدارس التي زرناها في فرنسا وتأثرت أيضاً بنظامها مدرسة جزيرة فرنسا في مقاطعة الواز. زرناها بدعوة من صديقي مرسى أفندي محمود أحد كتاب مصر فكانت زيارتها وزيارة مدرسة كرينون من أسعد الأيام التي قضيتها في أرض الفرنسي وإني أحب أن أقص عليكم قصة هذه المدرسة لتعرفوا الغرض منها فأقول:

قام منذ عشر سنين في فرنسا رجل من رجال الصحافة اسمه أديمون ديمولانس درس طرق الحضارة والتعليم والتربية عند الألمان والإنكليز والأمير كان وقابل بين طرائقهم وأخلاقهم وعاداتهم وبين ما عند الفرنسي منها ووضع لذلك الكتب وكتب المقالات وأنشأ مجلة العلم الاجتماعي التي تدور على هذا الغرض ومن جهة كتب سر تقدم الإنكليز السكسونيين الذي نقل إلى العربية فعمت فائدته العرب كما عمت الإفرنج.

وقد وفق ديمولانس صاحب تلك الدعوة بأنه التف حول له أناس من أرباب الغيرة على ارتقاء بلادهم والاهتمام بمستقبلها فكانوا يعطونه بالمتات لقيان الغرض الذي حاول بنوعه وتربية أبناء الفرنسي على الطريقة الأنكلو مكونية العنية فأسست لذلك ثلاث مدارس كبرى عقب دعوته الأولى مدرسة بروش أسست سنة ١٨٩٩ باسم جماعة من المساهمين وأخرى في إقليم نورمانديا لجماعة من كبار الصناع منها وأخرى في ليانكور أسست سنة ١٩٠١ وهي التي أريد أن أحدثكم عنها.

ليانكور قرية سكانها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وهي على نحو ساعة من باريز إلى الشمال من مقاطعة ألواز وفيها ما في سائر بلاد فرنسا من أنواع المرافق والرفاهية والمعامل الكبرى الصناعية والزراعة الراقية الغنية بل فيها من دور التشغيل فقط ثلاث دور وقصر

الدوك دي لاروشفو كول الواعظ المشهور صاحب الكنيسة الماثورة الذي أسس بنك التوفير في فرنسا في أواسط القرن التاسع عشر قامت هذه المدرسة العنية. وقصره هذا في أرض مساحتها مائتا هكتار أي نحو ثلثمائة فدان لم يبق منها إلا دائرة حشده أما دائرة قصره فقد أتى عليها رجال الثورة الأخير فدكوها وجعلوا عليها سافلها وقد جعلت تلك المدرسة في تلك الدائرة فوسعت كل صفوفها ومرافقها ومعاملها.

في هذه البقعة الحسنة الواسعة بل الأبعدية الكبيرة والحائوت الفخم التي حوت الغابات والمروج والحدائق والغدران والآكام والسهول يترى رجال المستقبل على الطريقة الإنكليزية وفيهم الفرنسيون وأكثرهم من أبناء الباريزين وعدد قليل من الأميركيين والإنكليز والبرتغاليين والأميركيين والمصريين. ويعيشون في هذا البيت كأنهم في أسرة لا في مدرسة وقد رفعت عنهم أكثر القيود التي تقيد طلبة المدارس الداخلية واختصر منها على ما يحفظ به النظام والآداب مثل الحظر على أحدهم أن يركض ويرفع صوته في المدرسة أو في حجر الدروس وأن ينبع في الأماكن التي هي مرر لإخوانه وأن لا يخرج من المدرسة ولا يركب في قارب في الغدير بدون رخصة أولاً وأن لا يتتاع أي شيء كان من المدينة بدون استئذان وأن لا يدخل جرائد ولا كتباً إلا إذا وقع عليها المدير ولا يدخن ولا ينس ثياب النعب عندما يخرج من غرفة المائدة وقت الظهر ولا يركب دراجته إلا يومي الخميس والأحد وأن لا يعث بما حوت حديقة المدرسة ومكتبتها وأن لا يتكلم بعد أن يطفى النور في غرفة النوم مساء ولا قبل أن يستيقظ رفاقه صباحاً وما عدا ذلك فهو حر أن ينبع النعب الذي يختاره في الأوقات التي خصصت لذلك منذ الظهر إلى حوالي الساعة الرابعة بعده.

وكل هذه القيود لا تكبر على التنيد لأنه يعرف أنه لا بد منها لكل عائلة كبرى وما هذه المدرسة إلا كذلك. والمدرسة تقسم إلى ثمانية صفوف أمسها الأستاذان الإنكليزيان هو كنسن وسكوت ومديرها اليوم الميول بلا وهو فرنسوي لأن قانون فرنسا يحظر على الأجانب إنشاء مدارس باسمهم في البلاد. وفي المدرسة نحو عشرين معلماً ومعلمة وناظرة. ورئيسة المدرسة الآنسة باري من أقرباء آدمون ديمولانس صاحب الدعوة إلى الأخذ بطريقة الإنكليز الكسوين في التربية ومن أولئك المعلمين معلمان إنكليزيان واثنا ألمانيان.

ويقسم تلامذتها بحسب أعمارهم واستعدادهم ولا يختلط الكبار بالصغار إلا في بعض ساعات النهار وهذه المدرسة تعد التلامذة ليل شهادة البكنوريا أو العالمية ولكن على غير الطريقة

التي يحشى بها رأس التنيد بالمواد النظرية وهي عن العنم العنني بعزل. فالمدرسة تربي الإرادة والعين والذوق واليد والجسم أكثر مما تربي الذهن والذاكرة.

وأسماء الصفوف كصفوف سائر المدارس ويشترك جميع المعلمين في التعليم ويلاحظون الدروس أيضاً ولا يراجعون التلامذة فيما تعنونه خارج الصفوف النظامية لأن النهار يكفي لذلك ويتولى الأولاد بأنفسهم أمور لعبهم وحفظ النظام العام وسائر شؤون الحياة وربما لا تروق أكثر الأولاد هذه الطريقة خصوصاً وأكثر من فيها من أبناء الأغنياء والأمراء اعتادوا أن يخنفوا وحواليهم الخدم والحشم ويتولوا من أمورهم ما يتقاعسون هم عن عنه ويصغرون خدودهم كبراً من القيام به.

ويقسم التلامذة بعد الصفوف والفرق إلى بيوت وكل بيت يديره أستاذ ويعهد إلى النساء بالإدارة البيتية والعناية بالمرضى وتعليم الموسيقى وتعليم الأحداث من الطلبة وهن يعشن في المدرسة نفسها وعلى الطلبة أن يحضروا ثلاث جلسات في الأسبوع لتعلم لعب الكوكي والكريكة بنظارة أستاذة فيف هذه الألعاب. وفي المدرسة دار لتثيل كما فيها ميدان لنعب السيف ومحل لتعلم الرقص والموسيقى ومحال دروسهم أشبه بمكتب منه بقمطر تلنيد لكل واحد منضدة عليها عليها دواة وورق نشاف يتصرف فيها كما يشاء ويرى فيها الدروس التي يدرسها بطريقة عمليّة أكثر منها نظرية.

فيحتم مع العلم صناعة من الصناعات التي هي أحب إلى قلبه كالزراعة والنجارة والحدادة والتصوير والتجديد وصنع المقوى والفخار والجند وغيرها وذلك بنظارة أستاذة هذا الشأن يدلونه على الطرق التي يسلكونها ولا يعملون بعده بل يدلونه على غيوب عم له ويده وعينه هما اللتان تعملان ليتعمد بذلك على نفسه فإذا عاد إلى أهله يستطيع أن يصنع بذاته عملاً من مثل ذلك فلا يكون لا فرق بين ما عمله في المدرسة ويعمله بعد الخروج منها ويتولى أكثر شؤونهم كنا قلنا بنفسه حتى يسهل عليه كل جهاد في حياته فإن الرياضيات التي يقومون بها في البستان والحقول والرحلات في الخلاء سواء كانوا مشاة أم ركاباً على الدراجات تزيد في قواهم وقبيلتهم للرياضات البدنية ولا يقل النوم عندهم عن عشر ساعات للنصغار إلى تسع للكبار ليستريحوا من أتعاب النهار.

وتمتاز هذه المدرسة بأن يرحل تلامذتها بمراقبة أساتذتهم إلى بعض البلاد الجاورة كالبلجيكا وهولاندة أو غيرها من مقاطعات فرنسا البعيدة ليعتادوا الاستغناء عن الرفاهية ويحسنوا التخلص عند الحاجة من مشاكل الأحوال التي كثيراً ما تصادف الإنسان في حياته وذلك

أيضاً ليتحنوا بصبر وحسن خلق معاكسات الوقت ونكد الأيام وتوثق عرى المحبة بينهم
ففي عيد الفصح تقسم المدرسة ثلاث فرق بحسب سن التلامذة المؤلفة منهم فتذهب كل
واحدة في جهة خمسة أيام وكل من حنت أخلاقه ودروسه يرحل به أيضاً كل ثلاثة
أشهر مرة أو مرتين يوماً أو بعض يوم إلى مكان بعيد وللمدرسة في فصل الصيف شهران
أيضاً عطلة فتكون عطتها السنوية من حيث المجموع ثمانين يوماً وتستوفي المدرسة أجرة
من كل طالب إلى سن الحادية عشرة ٢٥٠٠ فرنك فإذا تجاوز هذا السن تأخذ منه ثلاثة
آلاف يدخل في ذلك أكثر حاجاته ما عدا بعض الدروس كالرقص والموسيقى والرسم
فإنه يدفع أجرهما عني حدة. وهو مبلغ كبير بالنسبة لأهل بلادنا ولكنه لا يستكثر في
مدرسة مثل هذه النفقات الطائلة على الأساتذة والعيشة والرحلات ويطبق فيها العنم
عني العمل وتربي الحواس بالعمل أكثر من تربية الذاكرة.

حدثني أحد أساتذة المدرسة قال كان فكر مؤسسيها ديمولانس أن تكون عني الطريقة
الإنكليزية اخضة ولكن لم تمض حتى انقلبت أوضاع الدروس والرياضات إلى ما يشبه
الطريقة الفرنسية لأن ما توهمه ديمولانس من أنه يمكن تطبيقه في بلاد قد غلب فيهِ كثيراً
ولو كان حياً مات منذ نحو سنتين لرجع عن كثير مما نعاه عني قومه وعد عدمه نقصاً في
تربيتها وسبباً في ضعفها. وهو قول حق شديد لأن ما يوافق أمة لا يطبق بالحرف عني
أخرى وللعادة واخيط والتقاليد دخل كبير في أوضاع الأمة عني أن هذه النعمة قد
أفادت فرنسا وغيرها بلا شك وأطنعت الشرق عني التربية الفرنسية مع ما هي عليه
من الحسن هي في رقيها دون التربية الإنكليزية الكونية من وجوه وإن كانت هذه
دونها من وجوده ولعل بلادنا تستفيد من كل ذلك عبرة.

تقدم أن تلامذة مدرسة لياكتور هم من الفرنسيين وخليط من البرتغاليين والأميركان والإنكليز والمصريين وهكذا شأن معظم المدارس في فرنسا ولاسيما في كلياتها الجامعة فلا يتعلم فيها الطلبة من الذكور فقط بل يتعلم فيها الطالبات من الإناث وإني لا أذكر أنني حضرت خطبة أو درساً أو مجلساً علمياً ولا زرت متحفاً ولا مطبعة ولا إدارة جريدة إلا ورأيت الفتيات سقني إلى تلك الأمكنة ومعظمهن روسيات وإنكليزيات وألمانيات وبلغاريات وبولونيات. والبولونيات أكثر الفتيات الأجنبية في فرنسا وأكثرهن عناية بتعلم اللغات الأجنبية حتى أن الواحدة منهن تكلمت فلا تحسبها إلا فرنسوية لكثرة إتقانها للغة الفرنسية وإجادتها النطق بها مما لا يكاد يتيسر مثله لغريبة ولا لغريب عن اللغة وهن مع هذا أكثر النساء الأوربيات تفانياً في أحكام ملثة لغتهن وحرصاً على آدابها وتلقيها. ولقد كانت المرأة البولونية تعلم أولادها لغتهم في الغابات والحقول عندما كانت الحكومة الروسية تحظر عليه إلى قبل بضع سنين تعلم لغتهم لتجعلهم روساً مع الزمن فلما دالت دولة الجهل ونال البولونيون كسائر العناصر السلافية بعض حرمتهم عقيب إنشاء الدوما الأولى كان من البولونيون أن فتحوا في شهر واحد في البلاد التي وقعت منذ قرن ونصف تحت سيطرة الروس زهاء أربعة آلاف مدرسة يعلمون فيها العنوم العالية والدروس المتنوعة بنفهم ولم ينقصهم أساتذة ولا أعوزهم بالطبع التلامذة.

فالمرأة البولونية وإن عنت بتعليم اللغات الأجنبية عنها تحفظ بنفها ووطنيتها احتفاظاً أسأل الله أن يوزقنا نحن بعضه حتى أنها إذا تزوجت من أجنبي لا تلبث أن تصبغ أولادها بصبغتها بحيث اضطر بسمارك أن يسن في عهده قانوناً يحظر فيه على الضباط الألمان أن

يتزوجوا من البولونيات إذ ثبت له أن الوطنية الألمانية كادت تضعف ويعروها الانحلال في القسم الذي أصاب مُنكة بروسيا من إرث صاحب بولونيا.

فيا ليت شعري متى يكون نساؤنا بل رجالنا في هذه المترلة من صحة الوطنية مع الحرص على الجامعة العثمانية التي هي عدتنا في شدتنا وبدون هذه الجامعة السياسية لا يرجي لنا بقاء بعد الذي رأيناه من تكالب الغرب على الشرق فنحن إن أنصفنا لا نترع من يدنا من الجماعة لأن يد الله مع الجماعة ومن رأى كيف كانت حالة سويسرا وألمانيا والولايات المتحدة قبل الوحدة السويسرية والألمانية والأميركية يدرك سر الاجتماع والتعاقد ويعرف أن المركب الكبير يستحيل أن تأقي عليه الأنواء بقدر ما تضر بالصغير فقد يغرق هذا أو يستغرق في غيره ولا من يسع به.

تعننا أوروبا وأمريكا كل يوم معنى من معاني الوطنية والجامعات الجنسية فإن كان بعض الاجتماعيين يدعون اليوم إلى إنشاء جامعة أوروبية واحدة وبعضهم إلى إنشاء جامعة أمريكية واحدة وبعضهم إلى إنشاء جامعة صفراء من اليابان والصين واحدة أفلسنا نحن أبناء العثمانية أحرىء بأن نزيد في تكاتفنا وتكافئنا ونرفع من بيننا سوء التفهم بمعي العقلاء منا.

طال المقال وبت أخشى عليكم الملل فهل تأذنون بأن أختصه بمجملته واحدة للمقارنة بين أخلاقنا وأخلاق الغربيين وهي الأخلاق التي كانت من أعظم الوسائط في ارتقائهم كما كان لنقيضها واسطة في بانحطاطنا وذلك أنني تنبت بالاختبار أن الإفرنج أكثر تفكراً منا في مصادر الأحوال ومواردها فهم لا يقدمون مثنا على أمر قبل لأن يوقنوا من أنفسهم الغناء فيه فالصانع في الغالب لا يتطال إلى أن يكون سياسياً واخامي لا يعمل في الزراعة

ومكذا اختص أهل كل طبقة بطبقتهم وتفرّد كل عالم بما بعلم ولم يتعدّه فالاختصاص أو الاختصاص هو الذي كان واسطة نجاح الغرب ودعوى معرفة كل شيء هي التي كانت واسطة انحطاط الشرق.

الغربي يفتخر بأنّه لا يعرف غير ما تعلّمه في مدرسته وحصله من حرفته ولكنه تعلّمه فبرز فيه وأحاط بأطرافه وصبر حتى نضج فتناول ثمار جنيته. أما نحن فنسارع إلى الرقود فتهب دفعة واحدة كما نحمد كذلك.

الغربي يهتد نجاح العمل من حيث هو عمل نافع لأمته ولنفسه ولذلك جاءت مصانعهم ومعاهدهم بل وجميع شؤون حضارتهم فحمة خالدة وكانت مصانعنا ومعاهدنا وسائر أعمالنا محتنة معتلة لا تدوم إلا بدوام من عمل لها أول مرة فإذا ما ذهب تذهب بذهابه. الغربي استغاد ويستفيد بتجاربه غيره لأن من عادته أن يحسن الانتفاع بكل شيء ونحن من عادتنا أن نهزأ في الأكثر بكل شيء.

الغربي يدخل الإصلاح إلى داره وبيته وأمته بالتدريج ونحن نحب أن نطفر طفرة في إصلاحنا والطفرة محال لأن سنن الفطرة لا تغالب ولا تعاند. الغربي يحب النظام حتى صار ذلك طبيعة ثانية له ونحن لا يهتد النظام ولا التنظيم. الغربي معتدل على الأكثر في عامة أحواله ونحن أميل إلى الإفراط أو التفريط الغربي عيد الواجب ونحن قلنا نقوم بفرض أو واجب فالغربي كما أحسن تقسيم الأعمال والاختصاص فيها أحسن استخدام الوقت إحسانه لاستخدام عناصر الطبيعة فنجدّه جد ولكن في أوقات الجد وهزله هزل ولكن في أوقات الهزل ونزهته نزهة ولكن في أوقات النزهة وعنده عمل ولكن في زمن العمل والشرقي ويا للأسف ليس بذلك.

أحسن الطباع في الغربي خلق الاعتماد على النفس وإنكار النفي فهو يعتد على كفاءته أولاً ثم على محيطه أمته وقد يهتم على الأكثر بمصنعة أته اهتمامه أو أعظم بمصنعة نسه ولذلك جاء كل غربي راق أمة برأسه وأمة تتألف من أفراد هذا حال وادهم الأعظم ينسبط ظل عمراتها ويمتد على الأرض سنطاطها. فالله أسأل أن يهب هذا الشرق اغيوب نفثة من تلك الروح العالية وهذا لا يوجى لنا إلا بكثير سواد أمثالكم يا طلاب المدارس العالية فطلاب المدارس العالية هم ولا جرم أهل الطالب العالية فاعرفوا مقدار أنفسكم ومقدار الآمال التي تعنقها عنكم أمتكم نصر الله وجوهكم ويض بكم وجوهنا.

سير العنم والاجتماع

الدرس في الزهنة

اعتادت بعض المدارس في الغرب أن تخرج بتلامذتها في أيام معينة من الأسبوع إلى الضواحي تدرسهم في كتاب الطبيعة بعيدين عن الدفاتر والكتب وجدران صفوفهم ما يحرق حواسهم من رقها ويتره عقولهم من أتعابها ويعلمهم معالم بلادهم ومجانيها وهذا ما سماه أحد علماء التربية بمدارس الزهنة وليست هذه المدارس عبارة عن زهنة بسيطة يهيم فيها التلامذة والأساتذة على وجوههم كما في زهات المدارس بل إنها زهات هي إلى الجدل أكثر منها إلى الهزل وخطتها واسعة لأنها تجمع بين الولد والأرض والحياة وتعتمد النظر والتبصر والتفكر والشعور بالحقيقة وبجمال الموجودات حيوانات كانت أو جمادات وتوقفه على مناظر الطبيعة وأعمال أبنائها فيجمع فيها الولد شعوراً ومشاهدات وملاحظات وأحكاماً وتذكارات وصوراً على اختلاف ضروبها يستند منها معرفة وحكمة.

ويخرجون إلى هذه المدارس في مساء يوم الأربعاء الثالث من شهر نيسان وأيار وحزيران وتموز وآب وتشرين الأول أي في شهور الربيع والخريف أما في الصيف فيخرجون إليها صباحاً خوف الحرارة وفي الشتاء يخرجون في أوقات الصحو والفرق بين هذه الترهات وغيرها أن الأساتذة يكونون عارفين بالخطة التي يحرون عليها وما فيها من مظاهر الكون المفيدة وظواهر الأشياء لينفذوا إليها أنظار تلامذتهم وإذا كان في الطريق شيء يغيب عن أذهان المعنيين فيتخلصوا من مأزقه في الحال.

فباستعداد المعلمين لمثل هذه الترهات يتجو التنفيذ من هوى النظام المدرسي وخلل العادات ويتعود التنظيم المدقق بما يسبق نزواته من تدقيق المعلم بما يلزم لكمال هذه الترهات من الفوائد التي تناسب مدرسته ومحيطه فيذهب التلامذة مجتفعين حول معلمهم أكثر مما هم في صفوف المدرسة يسايرونه في البراري وينظرون ويتأمنون ويستمعون ويسألون ثم يعودون إلى المدرسة ببذرة من التذكارات فيكتبون مشاهداتهم ويجعلونها في جريدة مذكراتهم وربما أضافوا صور المناظر والأشياء التي وقعت على أنظارهم.

والسبب في هذه المدارس البرية هو أن بعضهم قالوا أن المدارس لا تعطي سوى جزء معين من المعارف وهذه المعارف منتخبة بحيث لا تضمن لنولد كل المعرفة العنية التي يحتاج إليها في الحياة بل إنما تؤثر في قواه وتخلق له فكراً وتنبهه وتوسعه وفيها التربية الحقيقية فالواجب أن يحمل الطفل من أبناء الشعب عن معلمي مدرسته الابتدائية عادات حسنة من التفكير وذكاءً نبهاً وأفكاراً راقيةً وصحة حكم وبعد نظر واستقامة في الفكر واللسان. وليس في هذه الطريقة من التعليم طرائق ميكانيكية تبند الذهن ولا دروس عالية تحوي في مطاويها معلومات تافهة باردة بل فيها كل ضروب التعاون في الأفكار

المختلفة المنة ولا سبيل إلى إبلاغ العنم إلى العقول إذا كان المعلم يلقيه على صورة مجردة ويعلمه كالتلصص فعلى المعلم أن لا يلقن إلا ما يقرب من إذ أن الطلبة وعليه في كل تعليم أن يستخدم أموراً محسوسة ويرى الأشياء بحيث تمسها اليد ويقف بالطلبة أمام حقائق ناصعة ويمرهم بالتدريج على استخراج الجردات فهو يرى صحة الحكم في تلميذه بما يقوده إليه من النظر ويرى فكر البحث بكثرة النظر والعقل بمعارنته على التعقل بذاته من دون قواعد منطقية.

التلميذ لا يتعلم دروس الأشياء في كتاب ما لم تضع أمام عينه صورة الشيء أو عينه وإلا فيكون كالبيغاء يسمع المدرس فيثاب والأولى أن ينظر إلى الشيء بذاته فإن صورته واسطة وخير للنظر أن ينظر مباشرة فينطبع بطابع ما يرى أشكاله ويسمع صداد وينشق رياه ويعتني بأسماء الأعيان والأجناس التي تفهمه الأشياء وتمثلها لعينه بما فيها من زخرف ثم يحسن أن تذكر في كتاب مع صورها. ولئن أفادت المعارض الطبيعية والمتاحف في المدارس فإن الأفيد منها والأقرب إلى حصول المقصود أن تعرض الأشياء على أنظار الطفل في أماكنها فالواجب أن يرى الحجر في الجبل والحصاد في الحقل المتسوح بأشعة الشمس والنبات والزهر في النور المرتج قبل أن يفهم بل ليفهم مجموعة المعرض من أعشاب وزهور وأحجار. يجب أن يذهب إلى الطبيعة ليلاحظ الأشياء والمخلوقات في مساكنها وأماكنها واكتشاف الصلات بين الأرض والبشر.

فيخرج الطفل من المدرسة وهو أقرب إلى العمل والحقائق مسنحاً بسلاح ماض من التعليم لطعن عوائق الحياة وليس معنى هذه التربية إخصاء التلميذ في العنم بل تلقينه مبادئ عامة واستعداداً موسعاً فيه يجب البلاد التي خلق ليعيش فيها وتلقي في نفسه ذوقاً

للبقاء فيها ليعمل بها ويضرب فيها أوتاد مقامه ولذا اقتضى أن ينظر في مظاهرها الطبيعية ويرى صناعاتها وفنونها كيف رقيت ويقرأ تاريخ أجداده ويشعر بالصلوات والاتحاد المعقود بين الأرض وأجيال الناس الذين راقهم الزول فيها وحولوها منذ قرون إلى الحالة التي وقع استحسانهم عليها.

وبهذه التربية تربي الحواس في التمييز على حين تصاب بين جدر المدرسة بإغفاء. والتربية الطبيعية تشد أزر التربية العقلية وهناك القوة والنفاد فيتيسر للتلاميذ أن يقدرُوا الأبعاد الشاسعة بسيرهم على الأقدام ثم بالعين من بعيد ولا يرحلون بتصورونه حتى يترسخ في ذاكرهم فينظرون إلى قامة إنسان وعنبر بيت وطول شجرة على اختلافها في البعد والطول ويميزون بين جمال الأصقاع وما يتخللها من المظاهر والألوان أما صغار الأطفال فلا يستطيعوا أن يسايروا أترابهم الأكبر منهم سناً فيجلسون إلى ناحية ويقطفون زهوراً وأوراقاً ويعدونها وبذلك يكون لهم درس في الحساب ثم يجعونها بحسب أشكالها وحجمها وبذلك تتبرن ألسنتهم على الكلام وأذهانهم على النظام. فحاستا الذوق والشم تتبرنان باستنشاق الزهور وجنيها ورائحة المرج والأرض وغاية التصوير والسمع يعود الإنصات إلى خريف المياه وتقدير المسافات التي تبغ بها الآذان وتتبرن الأيدي كما تتبرن العيون على المساحة وتكعب الخشب فتقرب التمييز من الأرض ومن أعمال البيوت.

نعم بهذه الوساطة يتعلم الطفل على الحساب والمساحة والعلوم الطبيعية بما يعده ويحسبه ويحوله ويجمعه من النبات والحيوان والمعادن والأحجار والمسافات وهكذا ينتقل نظر التلميذ في الخلاء من حقل يعمل صاحبه بيد وكرم يعزقه مالكه ومعمل يشتغل فيه الفتيان والفتيات وترتفع الكلفة بين المعلم وتلاميذه فيسيرون معه أو يسير معهم كما يسير أب

مع بنيه ويدرك التلامذة باحتكاكهم بأرباب الصناعات وعملة الحقول أن العمل شريف في ذاته وأنه خير ما يعد له نفسه.

العالم في الصور

كُتبت الآنسة برس في مجلة التربية مقالة قالت فيها: إن أول من رأس تهيل الدرس على الأطفال بوضع صور في الكتب المدرسية هو أحد قدماء العنساء آموس كومينوس (١٥٩٢-١٦٧١) وما برحت طريقته تنتشر ولكن على ضعف حتى العهد الأخير وقد غدت الكتب المدرسية وغيرها مصورة كلها بل أفرطوا في بعضها حتى قال بعضهم أن كثرة الصور توشك أن تأتي على كل اجتهاد للفهم وتفكر الإنسان بنفسه في موضوع بمجرد وصفه وصفاً بسيطاً. ولكن الداهيين إلى أن الصور تضعف قوة التصور هم على خطأ في دعواهم فإن الصورة تقوي الجهد للفهم وذلك بأن تجعل الحواس والذهن تتحرك بنفسها منذ الصغر ويتسع أمام الطفل عالم العلم المتنوع وتعلق بواسطته مبادئ من العلم غير قليلة وبذلك يكون الفكر في سعة من الوقت والقوة اللازمة للبحث في أمور أخرى لا يتأتى التمكن منها بالنظر. نعم إن الصور توضح كل شيء بحيث تكتفي ^{أرباب} باب أرباب العقول العادية بما فيها وهي مفيدة تفتح لأرباب الأفكار العالية أموراً جديدة أخرى. ولعمري أليس التصوير من حيث الجملة هو سبب ونتيجة لاتساع الانتباه العقلي في السنين الأخيرة.

فالواجب أن تري الجغرافيا عيوننا صوراً من بلاد العالم لم نراها ولن نراها. وأن يكون التاريخ معرضاً صور لكل عصر أو لكل القصص التي تعظم قيمتها لقنة صحتها لأنها تعبر عن حالة الأفكار العامة لزمن أو لشعب أهم من فكر الأبطال الذين تتسب إليهم. وأن

يكون التاريخ الطبيعية عبارة عن نزهة في حدائق حيوانات أو حيوانات تتنقل حية ونباتات تبدو بجملها وقوة أصولها وصنوبر تبدو على أجهل مظهر لتنبه النظر إلى التأمل. نعم فلتكن عجائب المعامل والأدوات وما وصلت إليه بعض الصناعات والأعمال الاجتماعية من الارتقاء من مألوف عقل الولد بوساطة التصوير وبذلك يربح الطفل نفسه وللسبيل لأن ما يتنقل لعينه يقيمه وسط التمدن العصري محفوفاً باكتشاف العلم وتبدل الأخلاق السريعة في تحولها اليوم وكم من عادة كانت بالأمس غريبة فأصبحت اليوم من المألوف وكذلك سيكون الحال غداً في الطيران في الهواء فلنكي يستعد الطفل لتلقي ما يحدث غداً من الارتقاء يجب عليه بعد الآن أن ينظر بلا انقطاع بكل ما فيه من قوة نظر إلى ارتقاء اليوم.

والصور مفيدة في تعليم الحساب وتصور الحياة العملية وفي دراسة النحو والصرف فإن كتاب علم مصور تصويراً جيداً هو درس في الذوق ولطف في الصناعة والواجب أن ينبه المعلم تلميذه إلى ما حوت الصورة التي تمر في الدرس من المعاني وإن كان من الصور ما ينطبق بنفسه فالأولى أن ينطقه. فالطفل لأول حركته يعطى لعباً وصوراً منقوشة محسنة فإذا تقدم في السن تعرض عليه صور على الورق ليتعلم منها ما يحدث في الحياة البيتية فيشرح المعلم لتلميذه كل الأدوات والآنية والخرثي والماعون والسيارات لتنبه ذهنه إلى كيفية استعمالها وإذا شرحت الصور للولد شرحاً كافياً لا يلبث متى أدرك أن يقلدها بيله ويتعلم ما هو بعيد عنه كأن يدرس ابن المدينة ما يجري في القرية وابن القرية ما يتم في المدينة فبالصوير يدخل الطفل في عالم جديد والتصوير يمثل لعينه العالم في مظاهره لم يكن يتوقعها فيرى حواله الأشياء والمناظر التي رآها في كتابه وربما كان يمر بها وهو ساه

لا و عنها وبذلك يعلم جمال الحقيقة فالإكثار من مجاميع الصور في المدارس والبيوت من أقوى أسباب التعنيم.

صحة العين

نشر الدكتور دوفور في مجلة التربية مقالة في صحة العين في البيوت المدارس قال فيها: إن الواجب تنظيف عيون الأولاد والعمل لما فيه وقايتها لا أن يمدوا أيديهم إليها وهي مسخة فلا تستعمل لها اسفنجة ولا خرقة استعملت في سائر أجزاء الجسد ولا أن تغل عيون الأولاد بما استحووا به. لأن الاسفنجة حتى ما يستعمل منها لفرك الوجه لا تخلو من مسخ ولكي يثق المرء بنظافتها يجب أن تجعل في ماء غال كل مرة يراد استعمالها وكث يراً ما تكون الفوط قاسية القماش فالأحسن استعمال شيء من القطن للعيون ثم ترمى بعد الاستعمال وأحسن سائل لغسيل العين الماء الطاهر وإذا أريد مزيد العناية فالواجب استعمال ماء أغلي ثم فتر وتجعل فيه قطعة من القطن المعروف ثم تمسح بها العين ولاسناً وراء الجفون والحدقتين من جهة الأنف والواجب تشييف العيون بعد غسلها حتى لا يبقى فيها أثر للندوة. وأن يفهم الطفل متى وعى على نفسه أن لا يقرب يديه وهما موسختان من عينه كما لا يقرب منها شيئاً يؤذيها مثل قنم أو مقص أو شكل أو موسى فإذا كبر وتعاطى بعض الصناعات تجعل على عينه نظارات تقيها الذرات الضارة. ويقضى أن تكون غرفة المدرسة منورة بالنور الأبيض وبنور النهار ما أمكن وما دام النور الطبيعية كافياً يجب تفضيله على النور الصناعي. ومما يضر العين بل مجموع حالة الإنسان أن يبقى المرء في غرفة منورة بنور أحمر مثل غرف التصوير الشمسي فإن للألوان المنونة تأثيراً في النظر. يجب أن يكون النور غزيراً فإن مضرة النور القليل تضطر التنميد إلى

الاقتراب من دفتري أو كتابه فيشغل قواه النظرية بإفراط فإذا عني بصحة عينيه منذ صغره
يجود نظره في كبره ولتدارك ذلك يجب أن يكون النور كافياً بحيث يستطيع التلميذ أن
يقرأ عن بعد الثلاثين سنتيمتراً على الأقل براحة. ويقضى أن تكون غرفة الدرس بحيث
يرى منها التلميذ شعاعاً من نور الشمس أو ضوء النهار وأسراً المدارس ما جعل حالياً
من النور في الطبقة السفلى من البناء لا ترى منها إلا الفناء أو شوارع ضيقة.

والأصح أن يدخل النور عن شمال الولد فإنه إذا قابله يهر نظره فيضره وإذا استدبره
يظلل جسم الطفل ما تحت يده من الورق والكتاب وإذا جاءه عن يمينه يغطي السطر
الذي يخطه. ويمكن تنوير الغرف العالية من سقوفها وإذا أريد التوقي من نور الشمس في
غرف المدارس فالأحسن اختيار ستور رمادية فاتحة كما تجعل الجدر كذلك حتى لا تبهر
عيونهم ويجب أن يكون النور الصناعي شديداً ما أمكن فالغاز دون الكهرباء ضوءاً
وخيره ما جعلت له زجاجة ولذلك تفضل مصابيح البترول والغاز والكهرباء على
التصوع وغيرها مما لا زجاج يمنع الهواء عن العبث بنوره. ويقضي للغرف المنورة
بمصابيح البترول والغاز أن قوي لأنه ينبعث من تلك المصابيح بخار وحامض كربونيك
تسدعي الهواء أك ثر من الغرف المنورة بالكهرباء.

أما كيفية الجلوس فينبغي ألا تكون على كراسي لا تليق إلا للجلوس عليها بضع دقائق
في إحدى القهوةات بل تكون بحيث لا يقترب التلميذ مما بين يديه من الكتاب وغيره أقل
من ٣٢ إلى ٣٣ سنتيمتراً ويكون جسمه وذراعه ورأسه على وضع يستريح به فإذا جلس
بعيداً عن الكتاب أو الدفتر لا يصير أحس قصير النظر أو أنه إذا كان مصاباً بالحسر لا
يزيده إعضالاً. فإذا أحب الكتابة يشد مقدم ذراعه على المنضدة ويبقي مرفقه مطلقاً في

الهواء وأن تكون المقاعد عالية في الجملة وعنو محل كل تنيد ٦٥ ستراً عني الأقل ويجب أن يعود الطفل عني الكتابة المستوية لا عني المطور المائلة لأن المائلة تسبب الحسر وأن يعنم العمل بالأدوات الكاتبة التي شاعت بالاستعمال في أميركا. ويختار من الكتب ما تقرأ حروفه مطبوعة عني ورق غليظ في الجملة بحيث لا تبدو الحروف الناتئة من أسفله ويكون الورق أبيضاً خيراً من الرمادي أو الأصفر الذي يمتدحه بعض أطباء العيون فالحروف الجيدة ما لا تنبس فيه الحروف المتشابهة بالرسم حتى عن بعد. ويجب أن لا يتجاوز طول السطر عن ثمانية ستترات وبين كل سطر مسافة ثلاثة مئترات وأن لا تطول الصفحات ويكون لها هوامش بيضاء.

لا يدخل الطفل المدرسة قبل السادسة من عمره ولا يبدأ بتعليم الكتابة إلا بعد سنة من بدائه بالقراءة ويعنم الكتابة بالورق والقلم لا عني ألواح من الحجر ولا يعنم في النهار أكثر من أربع ساعات وهو جالس بحيث لا يتجاوز كل مدرسة أكثر من ساعة يفصل بين كل واحدة منها ربع ساعة عني الأقل يصرفها التنيد في النعب في الهواء الطلق أو تحت رواق بحسب الفصل ولا يقرأ التلامذة ولا يكتبون خلال الزهرة وأن تقلل ساعات درسه في بيته ما أمكن لأن شروط الصحة تكون في البيت غير مستوفاة في الجملة وكذلك ينقطع الولد عن الدرس أيام العطلة وكل أسبوع كما تصرف العطلات المدرسية في الهواء الطلق لا في العمل. والأحسن أن لا يعني الأستاذ عني تلامذته ما يقضى عنهم أن ينسخوه بل أن يكتب ويوزعه عنهم ويلاحظ الأطفال المولعون بالمطالعة فلا يسمح لهم أن يطالعوا في الفراش لأن جلستهم تكون غالباً مختلة ونور الغرفة ضئيل ويجب تعويد الأطفال رؤية الأشياء البعيدة حتى تنرن عيونهم عني النظر.

والحسر من الأسباب الرئيسية إن لم يكن في العنى التام فننصف عنى يجعل الإنسان عاجزاً ويحول بينه وبين تعاطي أكثر الصناعات وقد فحص كوهن في ألمانيا سنة ١٨٦٥ زهاء عشرة آلاف طفل فقر ريان الحسر في مدارس القرى يكاد لا يوجد لهم أثر ويزيد عددهم بزيادة الدرس ويلغون الدرجة الكبرى من قصر البصر في المدارس العالية والجامعات وإن الحسر في التلامذة يزيد من الطبقة الواطنة إلى الطبقة العالية وإن كان يكثر في العناء لكثرة تحديقهم الساعات الطويلة وإن الحسر يزيد في صاحبه كلما تقدم في درسه. وقد أكد كثيرون في بندان مختلفة هذا الإحصاء فبان البحث بأن الإفراط في تقريب العين المرئيات يورث الحسر وهذا ناشئ من سوء جلسة التليذ الذي يحني أعنى جسمه إلى الأمام مستداً على مقدم ذراعيه مصعراً رأسه والسبب في الحسر واختلال وجهة العنود الفقري رداءة وضع التليذ.

ولقد كان ولا يزال لمسألة الحسر في المدارس شأن عظيم ولطالما أرسلت الحكومات إلى مدارسها بالتعاليم الواجب على المعلمين تطبيقها على التلامذة لوقاية أعينهم من الضعف والقصر من أحسن الخطط التي اختطوها (١) أن يقسم التعليم على وجه لا يضطر فيه التليذ إلى صرف أكثر من ساعة متتابة (٢) أن تقرر العيون على النظر إلى مسافات متراخية (٣) الرياضة المتوالية في الهواء الطلق والرياضات البدنية (٤) الامتناع عن القراءة في العتمة أو في الشفق أو ضوء مظلم (٥) حسن العناية بوضع التليذ خلال القراءة والكتابة (٦) الحظر على التلاميذ أن يضعوا على عيونهم نظارات بدون استشارة طبيب العيون (٧) يجعل التلاميذ الذين ضعفت عيونهم في مكان يعينه الطبيب (٨) يجب أن ينبعث النور للقارئ وال كاتب والمصور من شماله أو من أعنى رأسه (٩) يجتنب النور

الصناعي وإذا كان لا مناصر منه فالإقلال ما أمكن من القراءة والكتابة. عَنِ ضَوْثِهِ
وَيَتَبَعُ عَنِ التَّصْوِيرِ فِيهِ (١٠) يَعْلَمُ الْأَوْلَادَ بِمَحْرُوفِ صَغِيرَةٍ (١١) يَحْظُرُ اسْتِعْمَالَ الْوَرَقِ
(١٢) يَبَاعِدُ بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْعَمَلِ الْقَرِيبِ.

تربية بيوت الضاحية

اشتهر الدكتور ليز في ألمانيا بإنشاء مدارس سماها بهذا الاسم وشاعت طريقتها في أوروبا
وأمر كما عَنِ نَحْوِهَا كَانَتْ شَاعَتْ مِنْذُ بَضْعِ سَنِينَ كَتَبَ إِدْمُونُ دِيمُولَانْسُ فِي فَرَنْسَا
الْقَائِلُ بِاتِّخَاذِ التَّربِيَةِ السَّكْسُونِيَّةِ. وَقَدْ كَتَبَتْ مَجْلَّةُ التَّربِيَةِ الْفَرَنْسَوِيَّةِ بِصِفِ طَرِيقَةِ مَدَارِسِهِ
قَالَ: إِنَّا أَنْشَأْنَا خِلَالَ الْعِشْرِ السَّنِينَ الْأَخِيرَةِ مِنْ بَيْوتِ التَّربِيَةِ ثَلَاثَةً وَهِيَ فِي الضَّوَاهِي
بَعِيدَةٍ عَنِ الْمَدَنِ يَتَرَبَّى فِيهَا التِّلْدُ مِمْتَعًا بِكُلِّ قَوَاهِ الطَّبِيعَةِ وَالِدِينِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ فَيَعِيشُ فِي
مِحِيطٍ مَلَأْتُمْ لُتْرِيَّةَ شَخْصِيَّتِهِ عَنِ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ عَنِ صُورَةٍ تَعْرِفُ فِيهَا قِيَمَةَ الْحَيَاةِ
وَأَفْرَاحَهَا وَتَكُونُ جَدِيرَةً بِأَنْ تَسَاعِدَ عَنِ سَعَادَةِ الْخَلْقِ فَيَقُومُ الْمَعْنُونُ فِي هَذِهِ الْمَدَارِسِ
بِوُظَيْفَةِ الْمُرَبِّي الْحَقِيقِيِّ يَعْشُونَ مَعَ الْفَتْيَانِ الَّذِينَ عَهَدَتْ إِلَيْهِمْ تَرْبِيَتَهُمْ كَمَا يَعْشَى
الْأَصْحَابُ وَيَعِينُوهُمْ مَا أَمَكَّنَ عَنِ إِتْقَانِ تَرْبِيَتِهِمْ الشَّخْصِيَّةَ فَيَنْعَبُونَ وَيَعْنَنُونَ مَعَهُمْ
وَيَقَاسِمُوهُمْ النَّذَائِدَ وَالْأَعْمَالَ الْجَدِيدَةَ وَيُؤَثِّرُونَ فِيهِمْ بِالْمَثَلِ وَالْقُدْوَةِ وَمَا يَثُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ
مِنْ حُبِّ الْمَيْلِ إِلَى كُلِّ الصُّورِ الشَّرِيفَةِ وَالنَّافِعَةِ فِي الْعَمَلِ. وَلِلتَّربِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ الْمَقَامَ الْأَوَّلَ فِي
هَذِهِ التَّربِيَةِ فَيَكُونُ الطِّفْلُ أَنْ يَعْشَى فِي الْمَوَاءِ الطَّنْقِ وَمَا يَتَحَمُّ عِنْدَ الْقِيَامِ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ
الرِّيَاضَاتِ الْبَدَنِيَّةِ يَكُونُ مِمْتَنَاسِبًا مَعَ ثَمَرِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ بِلَدُونِ إِفْرَاطٍ فَيُوصَرُّهُ بِالْمَشْيِ وَالْعَدْوِ
وَأَعْمَالِ الرِّيَاضَةِ وَرُكُوبِ الدَّرَاجَةِ وَهَذِهِ الرِّيَاضَةُ الْأَخِيرَةُ تَكُونُ فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ
وَمِنْ جَمْعَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَقْوِي جِسْمَهُ زِرَاعَةُ الْبَقُولِ وَالزَّرْعِ وَالتَّجَارَةُ وَهِيَ مِنْ

الصناعات التي كسبت لها المدرسة فضل التقدم وإذ كان الدكتور وايز يعلق شأنًا عظيمًا على تأثير جمال الأقاليم في التنفيذ أسس مدارس الثلاث في ثلاثة أقاليم بهجة من بلاد ألمانيا أما الأشغال العقنية فيجب أن يعنىها الطفل على صورة مقبولة ويتقبلها بفرح فيه ما فيه من الميل الفطري وهباته في النظر وقوته في التفكير كما تربي فيه العواطف الدينية والأدبية والوطنية وتفي بما يحفظ نظام الحياة وسداجتها وإخلاصها المطلق نحو الواجب.

قال لقد أنشأنا في ثلاثة أقاليم بهجة من بلاد ألمانيا (في هارز تورنغ ورون) ثلاثة دور لتربية للأطفال والمتوسطين والكبار وذلك ليكون أبناء كل سن مع أبناء سنهم ويختصوا من حسبهم في مدارس داخلية أشبه بالسكن منها بالمدارس فيعمل أهل كل سن ما يشاؤون لتربية شخصياتهم ولهم من تنوع الأقاليم التي ينقلون من مدارسها ما يوسع أمامهم أفق العمل في الحياة وليس في كل مدرسة أكثر من ٥٠ إلى ٧٠ تلميذًا يقسم كل ١٠ إلى ١٢ منهم فرقة واحدة يتولى أمرها معلم يعيش معهم كما يعيش الأب مع أولاده وهكذا تتسع دائرة اختبار الطفل وأفكاره بتقلبه من فرقة إلى أخرى ومن مدرسة في هذا القطر إلى أخرى في قطر آخر تخالفها بعض الشيء في النظام.

والعيش في هذه المدارس منوع الأساليب حسن النظام بحيث يلاءم تنمية القوى العقنية والطبيعة فيستيقظ الأولاد فيها بين الساعة السادسة إلى السابعة صباحًا ليغنوا نشاط البكور فبعد أن يستحموا ويفطروا يبدءون بالدروس وهي خمسة طول كل منها ٤٥ دقيقة وذلك للمتوسطين والكبار أما الصغار فدروسهم أربعة. ودروس الصباح لا تكون إلا فرعين أو ثلاثة ويفصل بين كل درس فرصة للراحة وفرستان تدوم كل منهما ثلاثين دقيقة تخصص إحدهما للركض في الغابة إذا كان الوقت صاحيًا وفي الشتاء للترحلق على

الشنج والنوج والرهمة الثانية لتناول الطعام الثاني ويتخذون الساعة الواحدة بعد الظهر والتعقيم ينتهي الظهر وللتسليم ساعة قبل الطعام يتعاطى فيها أعماله الخاصة أما الأكل فإننا نتبع فيه طريقة الدكتور لاهمان وذلك بأننا نكثر من البقول والثمار ونقل من تناول اللحم ونحامي الأطعمة ذات التوابل والمشروبات الروحية والجزء الأول من وقت بعد الظهر أي من الساعة الثانية إلى الرابعة نستعمله في الأعمال العنية مثل البسة والتجارة أو في الفنون النطيفة كالرسم والموسيقى الآلية وبعد الساعة الرابعة يبدأ العمل العقلي غنى أنه يقال فيه ما أمكن التمارين المكتوبة والنصوص المستظهرة. والعمل الجوهري في المدرسة يتم في الصباح وتُدوم مدة الدرس في المساء ساعة في المدرسة الصغرى وساعة ونصف في المدرسة الوسطى وساعتين ونصفاً في المدارس الكبرى وبعد رياضة طبيعية قصيرة أو درس في الفضاء يذهبون إلى المائدة الساعة السابعة وبعد ذلك يستريح الطفل قليلاً على نحو ما يشاء ثم ينتقلون إلى قاعة السر فيبدأ أستاذ الموسيقى وجوقة التلامذة في أول الاجتماع وآخره بتحنين قطعة من الشعر ثم يتلو المدير قطعة أدبية تنشرها روح الطفل وتكون الأدبيات متناسبة مع اقتدار القوى العقلية في الطفل فالصغار يرتاحون إلى تلاوة الأفاصيص والحكايات والقطع الشعرية أما الكبار فيحبون أنواع الآداب العالية وينام الصغار في الساعة الثامنة وينام الكبار في الساعة التاسعة.

وفي كل أسبوع تقضي كل فرقة أو أسرة السهرة في رفقة أب الأسرة ويخصصون سهرة أخرى لسماع الموسيقى وكثيراً ما تتلى عليهم محاضرات يقوم بها أصدقاء المدرسة أو الأساتذة أنفسهم وهكذا ينتهي اليوم بما يعني نفس التنفيذ ويحدوها إلى المطالب العالية. وإذا كان التنفيذ في حاجة إلى الحرية لترتقي مداركه فالمدرسة تطلق سراحه بعد ظهر

الأربعاء والسبت ولا يحشى أن يسيء استعمال هذه الحرية لأن انفراد المدرسة في الخلاء والعيشة الاشتراكية بين الأساتذة والتلامذة وكثرة الأعمال الطاهرة والجاذبة تستدعي نشاطه وتقود إرادته.

وطريقة المدرسة في التعليم طريقة الوصف والاستدلال التي تساعد الطفل أبداً على مؤازرة المعلم في عمله. ولا تطبق هذه الطريقة إلا على شرط أن تنظم المواد المدروسة في هذا العمل الابتدائي المشترك وأن تعرض من جديد على الطفل في صورة عننية. وإذا كانت الفروع التي تدرس في كل صباح قليلة مهنة البحث في المسائل التاريخية والعننية والنغرية وذلك بدرس تجارب الغير والمستندات الموجودة وعلى هذا يتأتى التوسع في درس تاريخ الأدب بدون أن يجزأ ولنطفل من وقته متسع لعرض أفكاره ويقدم اعتراضاته ويهيئ أجوبته.

إن احترام التلميذ لشخصية المربي وطاعته له هي من الشروط الجوهرية في نجاح التربية وهذه المدارس لا تتطلب من تلامذتها بالخوف ولا بالقصاص. فإن التأثير الروحي الناشئ من الشخص المربي الحري بكل تحية والانقياد للطبيعة أو للعقل وتأثير نوع الحياة والعمل المطلوب هي وحدها حرية بتربية أخلاق حرة.

وعلى ذلك يسمح للتلميذ أن يجري مع ميوله ويقوم بما يزيد في نشاطه على عمله ولا تطبق المدرسة إلا بما لا غنى عنه بتربيته الطبيعية والعقلية فتعلمه بالقوة وبما يسود فيها من الأفكار العامة إلى أن يدرك ماهية الواجب بحيث يتضح له بأن نجاحه هو نتيجة لازمة لنظام منطبق على العقل.

أما العقوبات فيغنى عنها في هذه المدرسة لأن المربي يتنزل إلى تقريب مناهجه من عقل التلميذ ويعامله على نصاب العدل وإذا اختلت هذه الشروط تصبح الحاجة ماسة إلى العقوبات وعلى التلميذ من ثم أن يتعاطى عنه بابتهاج وهذه هي الطبقة من التلامذة التي تنوحي المدرسة تنشئها والقيام عليها ولا تطلب منهم الكمال بل تريد منهم على أن يرتقوا تدريجياً متناسباً مع قواهم واستعدادهم. وإذا لم يكف ذكاء التلميذ وإرادته للتوقفي من الأغلاط أو لسد مواضع الخلل من تربيته فإن المدرسة تنشطه وتصبر عليه في جهاده على أنها لا تكفه ما لا طاقة له به.

ويعامل كل تلميذ بالاحترام اللائق بشخصه فإن المربي الحقيقي هو الذي يكتشف في كل تلميذ حتى في المقصرين منهم في المدارك ما هو جدير بالاحترام وقابل للتكامل فإذا تم ذلك فالحياة المدرسية تنقضي في دعة نافعة ونفع شامل.

وإذا مست الحاجة إلى إنزال القصاص بالتلميذ فلا يكون إلا على أقل درجاته فمن أساء استعمال حريته تحجز عليه ومن تراخى في درسه يغيرون له الأسلوب في الإلقاء والمراقبة وطريقة تشيظه وهكذا تجهد المدرسة أن تحمل الولد على الاعتراف بخطائه وتأخذ بيده كل الأخذ لتوقد في نفسه جذوة العمل الصالح. ويحرمون العقوبات البدنية والقصاص الخارجي التي ليس لها علاقة داخلية مع الخطأ الذي ارتكبه كما لا يعدون إلى مكافأة الحسن من التلامذة بمكافآت مادية. لا جرم أن أعظم العقوبات التي تشاهد في تربية مدارس المدن ناشئة من الخروج عن سنة الفطرة وهذا ساقط من ذاته في مدرستا بالنظر لموقعها من الخلاء ولطرز معيشتها.

ولقد اقتنعنا بأن كل شخص لم يطرأ على قلبه وذكانه ما يشوهها كل التشويه هو قابل
لنخير حري بالمعانة لإصلاح حاله. فالثقة والحب والإخلاص والمعاملة بحسب قانون
العقل كلها من العلامات في ضمان النجاح لنسوء حتى أن النجاح وإن كان لا يرجى في
الحال بهذه الطريقة فإننا على ثقة بأن البذرة الملقاة لا بد عاجلاً أو آجلاً أن تأتي أكلها.

نحن نحاول أن نجرب تلاميذنا بدون ضعف لنفهم معنى الواجب ونجيه إلى نفوسهم
وننشطهم على الرغبة فيه أبداً. هذه هي القواعد التي جربنا عليها منذ عشر سنين
وظهرت بعض نتائجها وحدثت حدوثاً بعض المدارس التي أنشئت في البلاد الخارجية
فأثبتت عن نجاح وسعظم فائدته في المستقبل أكثر.

معنى التاريخ

كتب الدكتور ماكس نورد كتاباً بالفرنسية تحت هذا الاسم جاءت فيه بعض الفقرات
الآتية:

إن ما كان يراه الجيل الماضي في التاريخ لا يراه الحاضر وما يناسب هذا لا يناسب
المستقبل وما يناسب الهنود واليابانيين لا يناسب الأوروبيين والأميركيين فالتاريخ يختلف
باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فنحن تنبه به اليوم إلى مصلحة عامة لا يكون له
غداً تأثير في العالم. فالتاريخ يسير في ظلمات الماضي كالإنسان الذي يحمل مصباحاً
وشخصية المؤرخ تظهر وإن قال ذلك المؤرخ أن الواجب إخفاؤه لإيراد الحقائق مجردة.
وقد قال هيرودوتس أبو التاريخ ليس التاريخ إلا لعب لمن يرويه ولا يختلف عن القصائد
التي تنظم في تمجيد الأبطال إلا بكونه نثراً وهذه شعري. وهو إلى اليوم لم يبرح على ما
يدعيه بعضهم من أنه أصبح علماً عبارة عن قصة ولا يختلف المؤرخ عن القصصي إلا بأن

حريته محدودة بحدوث حدث وعرفت في الجملة وذلك لأنه لا يستطيع أن يناقض ما وقع التسليم به عند السواد الأعظم. ليس التاريخ علماً لأن العلم ليس إلا معرفة الصلات بين النتائج والمقدمات التي تربط الظواهر ببعضها البعض ومعرفة النواميس العامة في الطبيعة التي هي مفصلة عنها. وقد رد المؤلف هوبرت سنسر قول من يطلق لفظ علم على هذا النوع من التقيد والتقي في الحوادث. وعثاً حاولت فلسفة التاريخ أن تحدد الصلة الأصلية في الحوادث وأن تضع القوانين التي تتسلسل بها الوقائع التاريخية وربما جاء زمن اقتدر الناس فيه على تدوين تاريخهم خالياً من التناقض إذا ارتقى الفونوغراف والتصوير الشمسي أكثر من الآن. ولكن لا يتأتى أن يدون بهذه الوساطة إلا جزء صغير من الحوادث وما وراءها وهو الأهم كحوما يضمر في روح البشر ويقتى مخفياً عنا فلا سبل إلى نقشه ونقده. والحقيقة أن لكل مؤرخ رأياً خاصاً في الصور الكبرى من الماضي والحاضر وقتما تتفق صورته على صور رصفائه.

التاريخ هو غير تدوين الوقائع بل هو خارج عنه وأرقى منه وما التاريخ إلا مجموع حوادث اعترضت الجهاد الإنساني في سبل الحياة فهو تابع الأعمال واخذن والميول والحقائق التي يحاول الإنسان بما أن يوفق بينه وبين الشروط الطبيعية والصناعية الكاتنة في اخط الذي ولد فيه ويجب عليه أن يعيش وسطه فلا ترى بين رجل عادي ورجل فاتح فرقاً في الطبيعة وكلاهما خاضعان للقوانين الفطرية فالأول لا علاقة له بغيره قد يعيش ويموت فلا يدري به أحد أما الثاني فيؤثر بأفكاره وأعماله في ألوف وملايين من أبناء جنسه فالفرق بينهما في الكنية لا بالكيفية وكم من أناس كبر مقامهم من دونوا أخبارهم حتى أن كثيرين ليعجبوا من أرباب الرحلات السخفاء عجبهم من كبار الفاتحين المصنحين

وكم من أناس هم عظماء في نظر أمة ولا يذكرون عند أخرى وكم من زلازل وحرائق أثرت في الانقلاب البشري أكثر من الحروب والغارات وما سبب ذلك إلا المؤرخون فإنهم غالوا في هذه وسردوا أخبار تلك على وجه عادي.

قال ومن الخلق أن معرفة الحوادث التاريخية ليس فيها ضرورة حيوية كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ونواميسها بل إنها تسد في المرء حاجة نفسية بل حاجة اجتماعية. ومملكة النقد على الجنة غير مرتقية في السواد الأعظم من الخلق فلم يوزقوا استعداداً للتمييز بين الحق والباطل وقمنا يهتسون بذلك فكل قول يؤكد قائله صحته يقبلونه مصدقين بدون أن يطلبوا الدليل عليه وأن يبحثوا عن درجته من الصحة والثبت. فكما أن اللاهوت يوقف الناس عن الأسباب الأخيرة في نظام هذا العالم أو المعجزات تكشف خفايا المستقبل هكذا تدوين الحوادث التاريخية كان يوقفهم على معاني الماضي. ولو اهتم البشر بالاطلاع على الأسباب الأخيرة على نسبة اهتمامهم بالاطلاع على الأسباب القريبة لقضي على عالم اللاهوت منذ عهد طويل على نحو ما جرى ما جرى في التاريخ الطبيعية الذي حنقه بنينوس وعلم الحياة تألف أرسطو وكتاب الطبيعة لبطينوس ولو اهتموا بمعرفة الماضي اهتمامهم بالمستقبل لأدركوا منذ عهد بعيد أن تدوين وقائع التاريخ لا يوصل إلى معرفة المستقبل إلا كما يدل علم النجوم والقيافة والعرافة.

الصحة المدرسية

اجتعت جمعية الصحة الألمانية في ديسو من بلاد ألمانيا وبحث في أمور كثيرة في حفظ صحة التلامذة ولا سيما في مسألة العيون فقد رأى أن خير وقاية للعين من الأمراض عناية الأمهات بنظافة عيون أبنائهم وبناتهم ثم عناية المدارس بذلك والتوفر على تقليل النقائص

الإرثية وملاحظة مواضع النور في المدارس بحيث لا يقترب الأولاد مما ينظرون فيه وأن تجعل اندروس في الصباح أما وقت العصر فيصرف في الألعاب والرياضات حتى يتيسر للنظر أن يتسرن على النظر إلى المساوف البعيدة. ولا بأس حين الحاجة من إنشاء مدارس خاصة بضعاف الأبصار من التلامذة وهذا خير طريق للنعاية بنظر حماة الوطن وأبناء المستقبل على أن يعنى أرباب البيوت بصحة عيون أبنائهم عناية المدارس بما بعد.

كلية ليبك

احتفلت كلية لايبسك الألمانية بمرور خمسمائة سنة على تأسيسها فقد أنشئت سنة ١٤٠٩ على يد أساتذة وتلامذة من الألمان هاجروا من براغ للخلاص من النفوذ السلافي فقد فريدريك اخارب ظل حمايته عليها وكذلك صاحب مسينا فحازت شهرة وقوة لم تزال محتفظة بها حتى اليوم. وفيها الآن خمسة آلاف تلميذ من أقطار أوروبا وانتدبت كليات ألمانيا وغيرها من كليات الغرب مندوبين عنها حتى اضطرت عنده الاحتفال أن تحدد عدد الخطباء وناب كثير من منوك الإمارات الألمانية وقد احتفلوا بإقامة موكب تاريخي اشترك فيه ألفا رجل يمثل الأدوار المختلفة في الحياة المدرسية في ليبك منذ سنة ١٤١٩ إلى ١٨٣٠ ومما مثنوه فيها مناقشة لوثيروس صاحب الدعوة البروتستانتية مع خصمه إنك و حرب الثلاثين سنة والدور الذي رفض فيه الفينوف لير من نيل شهادة الحقوق ودور ليسنج وكيتي وأربعة من قدماء تلامذة لايبك.

بنجيكا الحديثة

نشر فرنسوي أقام في بلاد البنجيت زمناً كتاباً في وصفها جاء أن ليس في بنجيكا روح بنجيكية كما ليس في ألمانيا ولا في فرنسا روح فرنسوية ولا في إنكلترا روح إنكليزية لأنه

ما من شعب في الأرض يملك روحاً خاصة به بل هو مزيج أرواح مختلفة ففي البنجيت شعبان ألمان والفلامند وقد انتبه الشعب الفلامندي في السنين الأخيرة فطنب أن تعامل اللغة الإفرنسية واللغة الفلامندية بالمساواة. وفي البنجيت ٨٢٢.٠٠٠. ٢ نسمة لا يتكلمون بغير الفلامندية و ٥٧٤.٠٠٠. ٢ نسمة لا تتكلم بغير الإفرنسية و ٨٠١٦٠٠ يتكلمون بالإفرنسية والفلامندية و ٢٨٣٠٠ لا يعرفون أن يتكلموا بغير الألمانية و ٧٢٠٠ يتكلمون الفلامندية والألمانية و ٤٢٩٠٠ يتكلمون باللغات الثلاث الشائعة في البلاد. والبنجيت متأخرة من حيث التعلم فوجد فيها ١٠١ أمي في كل ١٠٠٠ جندي أي أكثر من عشر أبنائها في حين ليس في هولاندة سوى ٢٣ أمياً في الألف وفي فرنسا ٤٧ وبحث المؤلف في أحزاب البنجيت فردها إلى ثلاثة أحزاب حزب الأحرار وحزب الدين وحزب الاشتراكيين وقال أن الحزب الأول ضعيف بالنسبة لثنائي الذي استولى على الأمر فالأحرار يكتفون بأن يخاطبوا الأرواح والأفكار أما سائر الأحزاب فتدعو إلى مذهبها بما تقوم به من الأفعال النافعة العملية فهي تسطو على الفلاح والعامل والطفل أيضاً تتناولهم من المهدي ولا تتركهم إلى النحد.

محصول الذهب

قال مجلة الاقتصاديين: ما برح محصول الذهب في العالم يزيد سنة عن سنة وليس هو الذي زاد غلاء المعيشة بل إن الغلاء ناشيء بطبيعة الحال من التدابير السياسية والقوانين

الاجتماعية وهناك جدولاً بحصوله سنة ١٩٠٩ ومنه تفهم أن الولية قد فازت بها
الترنسفال في هذا الباب.

فرنك

٧٧٠ . ١٠٠ . ٠٠٠ الترنسفال

٤٢٩ . ١٥٠ . ٠٠٠ الولايات المتحدة

٣٦٧ . ١٠١ . ٩٧٨ أستراليا

١٧٤ . ٢١٦ . ٠٠٠ روسيا

١٣٢ . ٦٠٠ . ٠٠٠ المكسيك

٦٤ . ٢٨٥ . ٥٠٠ رودوسيا

٥٦ . ١٠٠ . ٠٠٠ الصين واليابان وكوريا

٥٤ . ٨٢٥ . ٠٠٠ كندا

٦٠٠ . ٨٨٦ . ٥٣ الهند الإنكليزية

٣٢ . ٥٨٧ . ٥٠٠ أفريقيا الغربية

١٢ . ٦٤٨ . ٠٠٠ مدغسكر

١٢٧ . ٥٠٠ . ٠٠٠ الأقطار الأخرى

٢ . ٣٢٩ . ٠٠٠ . ٠٠٠ المجموع

مخطوطات ومطبوعات

أمهات مخطوطات

ندر جداً بين غلاة الكتب العارفين في البلاد العربية مثل الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ومحمود شكري أفندي الألوسي في بغداد وأحمد بك زكي في القاهرة فهم يتوسلون إلى نشر كتب السلف بكل ما لديهم من ذرائع لينروا بها آفاق البلاد ويحيوا موات المجموع والأفراد. وطريقة العالم المصري في الدعوة غريبة لأنه متشبع باللغة أو باللغات الإفرنجية فقد نشر أمس تقريراً طبعه باللغة العربية والتركية لتظيم خزائن الكتب العامة في الأستانة وأقرب الطرق إلى الانتفاع بها واليوم نشر كراسة بالإفرنسية فقط ذكر فيها الأسباب التي يجب الاعتناء^٢ عليها في مصر لإحياء الآداب العربية فيها فقال أن القاهرة منذ أسسها الفاطميون استأثرت بالإرث العنبي الذي كان لبغداد وقرطبة فازدهرت فيها الحضارة الإسلامية وأنارت الأفق آثارها فنجحت مساعي العناية المصريين إلى آخر عهد سلاطين المماليك وأثمرت أعمالهم ثمرات جنية كان لهم من تنشيط المنوك والأفراد الذين شغلوا بالآداب والعلوم ما دعاهم إلى تأليف مجاميع من المخطوطات النادرة والآثار الشنيعة وكان لنجوامع إلا قليلاً من مدارس وخزائن كتب دع عنك المكاتب التي جعلت خاصة لحفظ المخطوطات.

وإن الحال الباهرة التي قامت على ذلك العهد لتدل عليها كتب النويري وابن فضل الله العمري وابن شامة والمقرئزي والفتقشندي والسيوطي ثم ابن إياس والجبرتي من المتأخرين وإن المناصب السياسية التي تولى معظم هؤلاء أمرها قد كان لهم أعظم الخطط الجديدة^٣ التوفيقية ولكن ما جمع في مصر من مصنفات السلف في خمسة أو ستة قرون قد تفرق شذر مذر وانتقل إلى مكاتب مختلفة ولاسيما إلى الأستانة عقيب أن فتح السلطان سليم العثماني مصر وحمل القسم الآخر إلى مكتبة باريز ولاسيما منذ عهد حملة بوناپرت على

مصر ومكاتب برلين وليدن ولندن وأكسفورد ورومية وفينا وغيرها فجعلتها تلك
الحكومات المنتهية الغيرة على الآداب وأخذ عناؤها يبعثون إلينا منها الحين بعد الآخر
ما يطبعونه أجود طبع ويعيون إلينا منا بالانقلابات السياسية وبجهل بعض الأجيال الماضية
ولقد جمعت بفضل الخديوي وإسماعيل وإشارة علي مبارك باشا بقايا تلك الكنوز
وأست لها المكتبة الخديوية وما قد جاء دور يحق فيه للتصريح أن يستعيدوا سالف
مكانتهم العلية في العالم الإسلامي وبعد أن تكلم على ما أبرزته المطبعة الأميرية من
مصفات عناء العرب مثل كتاب الأغاني والعقد الفريد وتاريخ ابن خلدون وصحاح
الجوهري وقاموس الفيروز آبادي وغيرها من المصنفات التي لها شأن حتى عند عناء
المشرقيات من الإفرنج لفت أنظار الحكومة المصرية في عهد الخديوي عباس الثاني إلى
إحياء ما خلفه لنا السلف الصالح وأورد ما وفق جمعه من مكاتب متنوعة بواسطة التصوير
الشمسي من الكتب المنتعة أو ما استخذ أو ما عرف مكانه ككتاب نهاية الأرب في
فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الكريم النويري (ونويرة قرية بالقرب من بني
سويق في صعيد مصر) وهو كتاب دائرة معارف في العلوم البشرية التي عرفت في عصره
قسمة إلى خمسة أقسام وهي النساء والأرض وما فيها والإنسان وعالم الحيوان وعالم
النبات (وفيه نبذة في الطب) والتاريخ وهو في ٣١ مجلداً انتهى قيل سنة وفاة المؤلف سنة
٧٣٣ هجرية.

وتكلم ما شاء بيانه على هذا السفر المتع وما لقيه من العناء في جميع أجزائه المخفقة ثم
ذكر دائرة معارف أخرى لمؤلفها شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن فضل الله العمري
واسم كتابه مسالك الإبصار في ممالك الأمصار وهو في ٣٢ مجلداً قسمة إلى قسمين

الأرض والإنسان وهو دائرة معارف طبيعية جغرافية مع المصورات وتاريخية أدبية وسياسية وهذا المؤلف دمشقي وكان معاصراً للتحرير.

والكتاب الثالث الذي لفت إليه الأنظار جوامع العلوم لفريعين تلميذ أبي زيد البلخي من أهل القرن الثالث عشر وهو مثل دائرة معارف أيضاً. والكتاب الرابع والخامس درر التيجان لأبي بكر بن عبد الله أيك الداوداري وكثر الدرر وجامع العبر للمؤلف نفسه وهو تاريخ مهم فيه أمور لم تنتشر بالطبع عن دولة الفاطميين والأيوبيين والمماليك وحياة المصريين وغارات التتار وأخلاقهم وتقاليدهم وأساطيرهم وسبب زوال الخلافة العباسية وفيه ترجمة مطولة لنسطان الناصر قلاوون صاحب المعاهد الخيرية في مصر والشام وأحسن سلاطين المماليك وحامي الآداب والمعارف في عصره.

والكتاب السادس سيرة ابن السنطان جقمق لابن عرنشاه والكتاب السابع كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه وهو من مؤرخي الإسلام الذي تنفخوا في التاريخ. تطبعه على نفقتها اليوم أسرة جيب الإنكليزية بمعرفة الأمير كاتاني الإيطالي في رومية والكتاب الثامن ذيل تجارب الأمم لنوزير أبي شجاع ولطائف المعارف لنيسابوري وهو في الأدب والتاريخ والسياسة والجغرافية والإحصاء وشجرة النسب الشريف النبوي لسنك الأشرف السنطان أبي النصر قانصوه الغوري وكتاب صور الأقاليم الإسلامية لأبي زيد أحمد بن سهل البخاري وهو في الجغرافيا وفيه ٢٢ مصوراً. والبخاري أول جغرافي في الإسلام استعمل رسم الأرض وكتاب تاريخ الأمير يشبك الظاهري وهو رحلة فيها وصف سورية وأرمينية وفارس في القرن التاسع للهجرة. ومن الكتب التي لفت إليها الأنظار كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع وقد

كتب لنا يقول فيها أن النسخين النتين ظفر بهما من كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع هما أجمل وأصح بكثير من النتين اعتدنا نحن واعتد عليها الأمير شبيب أرسلان في الطبع وإن الذي سميته بالدرة البتة إنما هي الأدب الكبير بعينه ونسخة زكي بك هي بالشكل الكامل ومنها كتاب ترجمة البقية من كتاب عيطوس أحد فلاسفة يونان المعروف عند الإفرنج بجاميليك وهو الذي قاوم النصرانية في القرن الثالث للميلاد وأراد أن تبقى يونان على وثنتها والكتاب الخامس عشر رسالة في تاريخ الغناء وعدم حرمة وأخبار المغنين في بلاد العرب ومؤلفه من أهل القرن الثاني والكتاب السادس عشر كتاب العز والمتاع لنسجاهدين بآلات الحرب والمدافع وهو كتاب معرب عن اللغة الإسبانية الإسلامية (الجياو) بقلم قاضيبي فارس سنة ١٠٥٠ هـ قال فيه أن البارود اخترعه راهب ألماني.

هذه هي الكتب التي لفت إليها صاحب اللائحة أنظار العالم العربي والغربي معاً وهو يرى أن يبدأ بطبع دائرتي معارف النويري المصري والعربي الدمشقي ليكون لمصر مجد خالد كالأهرام على الدوام وفقه وسائر العاملين لخدمة العلم.

فلسفة الإسلام

نشر الماجور ليوناردو الإنكليزي كتاباً في الإسلام وصاحب الشريعة (عليه الصلاة والسلام) على وجد يرفع الغشاء عنها ويزيل الشبه الشائعة في الغرب اليوم عن حقيقة هذا الدين وقد قدم له السيد أمير علي العام الهند الشهير مقدمة بالإنكليزية وأثنى على عنه وحبه لنحو والكتاب يطلب من مكتبة لوزان في لنرا.

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

كتاب في ٢٢٤ صفحة في أفعال معاوية بن أبي قيان رأس خلفاء بني أمية وما عامل به آل البيت وكيف قام على الإمام الحق وشيء من تاريخ ذاك الدور تأليف السيد محمد بن عقيل العلوي الحسيني من نحرير الكاتبين والعلمين.

مبادئ الفلسفة القديمة

هي مجموعة فيها كتاب ما ينبغي أن يقدم قبل أن تعلم فلسفة أرسطو لأبي نصر الفارابي وكتاب عيون المسائل في المنطق ومبادئ الفلسفة له أيضاً عنيت بتصحيحها ونشرهما المكتبة السلفية بمصر لمؤسسيها محب الدين أفندي الخطيب وعبد الفتاح أفندي القشلان. وقد جعلت له مقدمة في ترجمة الفارابي مطولة وعنقت عنه حواشي مفيدة.

سمير النيازي

طبعَت المكتبة الرفاعية في طرابلس الشام الجزء الأول من هذا الكتاب تأليف محمد أمين أفندي صوفي السكري وهو في جغرافية الممالك العثمانية وشيء من تاريخها وهو في ١٩٨ صفحة وعسى أن يزيد المؤلف كتابه تدقيقاً في الطبعة القادمة لأن فيه بعض نواقص لا يصح أن تبقى فيه.

الفصن الرطيب في فن الخطيب

هو مختصر في تعليم الخطابة للشيخ سعد الشرتوني من فصحاء لبنان ولغوييه وفيه كثير من القواعد وبعض أمثلة.

مطالع الأضواء في مناهج الكتاب والشعراء

هو جز أيضاً للشيخ سعد الشرتوني انتقى فيه زبدة علوم المعاني والبيان والبديع والعروض بعبارات وجيزة قال أحد الناظرين فيه تبين لنا أثناء مرور النظر على مباحث

هذا الكتاب أن المؤلف إذا استشهد ببيت شعر يعزو لقائنه أو فقرة من المزامير يبين عدد الصحيفة التي وردت بها الآيات القرآنية الشريفة فإذا استشهد بها لا يعزوها بل يتخذها كالمثال المبكر من عنده أو كالكلام المعتاد فيها حبذا لو أرجع الآيات كما يرجع غيرها.

الأرض في السماء

هي قصائد أجنبية أخلاقية تاريخية وأساطير حكيمية تأليف محمد أفندي ظاهر خير الله من الشعراء والكتاب جمع فيها الحقائق العنسية والنتائج العقلية والفوائد الزراعية على غمط جديد ولم ينتزم فيها الروي في كل شطر وسماه الأرض في السماء أي ما ينال به الإنسان رغد العيش وحلاوة الأمن وهو مشكول بالشكل الكامل لسهل على كل متناول وعدد صفحات هذا الجزء ١٤٢ ص طبع بالمطبعة الأدبية في بيروت ويطلب من مؤلفه في دمشق.

دروس الحياة الإنسانية في مدرسة الله النباتية.

هو كتاب في ١٥٢ ص تأليف أمين أفندي ظاهر خير الله المشار إليه جعل شعاره أن المبررات اخدودة تنطق بلسان صحتها عن تمام حكمة البارئ الغير محدودة وفيه مباحث أدبية واجتماعية جعل الدين ولاسيما آيات الكتاب المقدس دعائمها الكبرى وذلك ليتفع به طلاب المدارس المسيحية وهو مشكول أيضاً سهل العبارة حسن الأسلوب والنسج.

تاريخ أبي الخاسن

بدأت جامعة كنيفورنيا في أميركا بنشر كتب في اللغات السامية أن تستفتح عنها بنشر الجزء الثاني من كتاب النجوم لزهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي الخاسن ابن تغري بردي وهو في ست مجلدات كان نشر الجزء الأول منه في لندن. وهذا التاريخ يبدأ من

الفتح الإسلامي وينتهي سنة ٨٧٢ للهجرة. وفي هذا الجزء كلام على خليفين من خلفاء الفاطميين العزيز الناصر والحكم.

حضارة بابل

نشر المسيو مارتين ٢٤٨ رسالة باللغة البابلية وجدت في أبي حبة على خمسين كيلومتراً من مدينة بابل وفيها إشارات إلى ثروة تلك البلاد وأشخاصها ومجتمعاتها المدني وأشغالها التجارية والحقوقية وذلك مدة خمسين سنة من سقوط بابل إلى أوائل قيام دار ملك الفرس.

ابن الطفيل

نشر المسيو ليون غوتيه بالإفرنجية كتاباً على أبي بكر ابن الطفيل أحد فلاسفة الأندلس فيه

ذكر حياته وأعماله وأشار إلى رسالته حي بن يقظان في الحكمة الشرقية.

ابن رشد

نشر المستشرق الموما إليه كتاباً في ابن رشد الفيلسوف الإسلامي جعله تكملة لما كتبه الفيلسوف رنان عنه وأفاض في الكلام على كتاب فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.